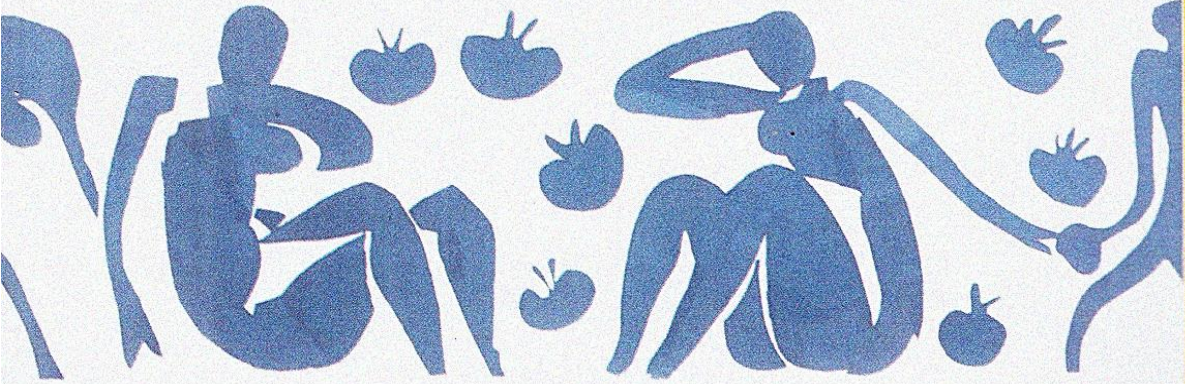


6 سلسلة
آفاق
عالمية
67



آدم وحواء

وقصص أخرى من أمريكا اللاتينية

ترجمة: خليل كلفت



المهبة العامة لقصور الثقافة

علي مولا

آدم وحواء

وقصص أخرى من أمريكا اللاتينية

آدم وحواء

وقصص أخرى من أمريكا اللاتينية

ترجمة: خليل كلفت

وزارة الثقافة



سلسلة شهرية تعنى بنشر الأعمال المترجمة إلى اللغة العربية في الأدب والنقد والفكر من مختلف اللغات

• هيئة التحرير •

رئيس التحرير
طلعت الشايب
مدير التحرير
تفريد كامل إمام
سكرتير التحرير
وليد محمد عبد العزيز

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة بل تعبر عن رأى وتوجه المؤلف في المقام الأول.

• حقوق النشر والطباعة محفوظة للهيئة العامة لقصور الثقافة.
• يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن كتابى من الهيئة العامة لقصور الثقافة، أو بالإشارة إلى المصدر.

سلسلة أفاق عالمية

تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

رئيس مجلس الإدارة
د. أحمد نوار
أمين عام النشر
سعد عبد الرحمن
الإشراف العام
محمد أبو المجد
الإشراف الفنى
د. خالد سرور

• آدم وحواء
وقصص أخرى من أمريكا اللاتينية
• ترجمة: خليل كلفت
• الطبعة الأولى:
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة - 2008 م
232 ص. 13.5 x 19.5 سم
• تصميم الغلاف: أحمد اللباد
• المراجعة اللغوية: سوزان عبد العال
• رقم الإيداع: ١١٧٠٦ / ٢٠٠٨
• الترقيم الدولي: 3-758-437-977
• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالي: ١٦ شارع أمين
سامي - قصور العيني
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت، 27947891 (داخلى، 180)

• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت، 23904096

آدم وحواء

وقصص أخرى من أمريكا اللاتينية

هذه ترجمة عن الإنجليزية لمجموعة مختارة من القصص القصيرة
من مصادر شتى:

قصة "المرأة" مترجمة عن:

Machado de Assis: The Psychiatrist and other stories,
Translated by William L. Grossman & Helen Caldwell, University
of California press / Berkeley & Los Angeles, USA, 1973.

قصة "آدم وحواء" مترجمة عن:

Machado de Assis: The Devil's Church and Other Stories,
Translated by Jack Schmitt and Lorie Ishimatsu, University
of Texas press, USA, 1977.

قصص "لماذا البوص مجوف"، و"الشاطئ الثالث للنهر"،
و"تارسيزو"، و"جنون"، و"السنير ده لا بينيا"، و"أضال امرأة في
العالم"، و"قرود الماموزيت" مترجمة عن:

The Eye of the Heart, Short Stories from Latin America, edited by Barbara Howes, Avon Books, USA, 1974.

قصة "سيرة تاديو إيسيدورو كروث" مترجمة عن:

Jorge Luis Borges: A Personal Anthology, Edited by Anthony Kerrigan, Grove Press, Inc. / New York, USA, 1967.

قصة "الانتظار" مترجمة عن:

Jorge Luis Borges: Labyrinths, Selected Stories & Other Writings, Edited by Donald A. Yates & James E. Irby, New Directions, USA, first published 1964 (Twenty-first Printing).

قصتا "كوابيس" و"لاتلم أحدا" مترجمتان عن:

Julio Cortazar: Unreasonable Hours, Translated by Alberto Manguel, Coach House Press, Toronto, 1995.

قصة: "الساحر السابق من مطعم مينيوتا" مترجمة عن:

A Hammock Beneath the Mangoes, Stories from Latin America, edited by Thomas Colchie, A Plume Book, USA, 1991.

قصص: "الفراشة البيضاء"، و"جراة"، "الله وحده يعلم" مترجمة

عن:

Latin American Literature Today, edited by Anne Fremantle, A Mentor Book, New American Library, USA, 1977.

قصة "مس الجريف مترجمة عن:

Clarice Lispector: Soulstorm, Translated by Alexis
Levitin, New Directions Book, New York, 1989.

قصة "ضيف المعلمة" مترجمة عن:

Isabel Allende: The Stories of Eva Luna, Translated
by Margaret Sayers Peden, eal Books, Toronto, 1991.

المرآة

(مسوّدة لنظرية جديدة عن روح الإنسان)

ماشادوده أسيس (البرازيل)

جلس أربعة أو خمسة سادة يتناقشون، ذات ليلة، حول مسائل متباينة ذات طبيعة ترانسذنتالية عليا - ولكن دون أن يكون لأى آراء يعبرون عنها أدنى تأثير على أمزجتهم، وكان المنزل يرتفع فوق تل سانتا تريزا؛ وكانت حجرة الجلوس الصغيرة المضاءة بشموع ضاع لمعانها بصورة مبهمّة فى ضوء القمر الذى أتى من الخارج. وبين المدينة باضطرابها الشديد الذى لا يهدأ ومغامراتها، والسماء حيث كانت النجوم تومض، فى جو صاف هادئ، جلس باحثونا الأربعة أو الخمسة فى الأمور الميتافيزيقية يحلون بكل مودة أعقد المشكلات الشائكة للكون.

لماذا أربعة أو خمسة؟ الواقع أن أربعة كانوا يتكلمون، غير أنه بالإضافة إليهم كان يوجد فرد خامس فى الحجرة، وكان يجلس

صامتا، مستغرقا فى التفكير، ونصف نائم. ولم تتجاوز مساهمته فى المناقشة شهقة موافقة من وقت لآخر. وكان فى نفس عمر رفاقة - بين الأربعين والخمسين، وكان ريفيا، رأسماليا، ذكيا، لا ينقصه التعليم، وكان، كما قد يبدو، فطنا وساخرا. ولم يكن يشترك مطلقا فى مناقشات، معذرا بمفارقة. كان يقول إن المناقشة هى الشكل المهذب لغريزة القتال التى تترسخ بعمق فى الإنسان كميراث وحشى، وكان يضيف أن ملائكة الشيروبيم والسيرافيم لم تدخل مطلقا فى مجادلات، وأنها كانت آيات الكمال الروحى والأبدى.

ولأنه قدم هذا العذر نفسه فى تلك الليلة ذاتها فقد هاجمه أحد أولئك الحاضرين وتحداه أن يدعم موقفه بمثال - لو استطاع. فكّر چاكوبينا (وكان هذا اسمه) لحظة وأجاب:

- إذا أخذنا كل شيء فى الاعتبار فربما كان ما تسأل عنه، يا سيدى، معقولا فى النهاية.

وعندئذ حدث فجأة، فى منتصف الليل، أن هذا الشخص الغريب الانطوائى بدأ يتحدث ليس دقيقتين أو ثلاث دقائق بل على مدى ثلاثين أو أربعين دقيقة.

وأخيرا انتهى الحديث، فى سياق تعرجاته، إلى طبيعة الروح، وهذا موضوع جعل الأصدقاء الأربعة يختلفون جذريا. "رؤوس كثيرة جدا، آراء كثيرة جدا". وليس فقط الاتفاق بينهم بل حتى النقاش صار صعباً، إن لم يكن مستحيلا، بسبب الكثرة من الأسئلة التى تفرعت من الجذع الرئيسى للمناقشة - وربما، جزئيا، بسبب عدم

تماسك الحجج. وتوسل أحد المتجادلين إلى چاكوبينا أن يعطى رأيا من نوع ما، أى نوع - حدسا، على الأقل. رد قائلا:
- لا حدس ولا رأى. فأى منهما يمكن أن يقود إلى الخلاف، وأنا، كما تعرف، لا أجادل مطلقا. ولكن إذا أردتم أن تسمعونى فى صمت، يمكننى أن أقص عليكم حادثا من حياتى سوف يوضح كل طبيعة المسألة المطروحة للبحث. أولا، ليس هناك روح واحد، بل اثنان...

- اثنان؟

- ليس أقل من روحين اثنين. كل كائن بشرى يحمل معه روحين: روح ينظر من الداخل إلى الخارج وآخر ينظر من الخارج إلى الداخل... اندهشوا كما شئتم، افغروا أفواهكم، هزّوا أكتافكم، أى شيء... ولكن لا تحاولوا أن تردوا علىّ. إذا حاولتم أن تجادلوا حول هذا الموضوع، سأنتهى من سيجارى وأعود إلى البيت لأنام. والروح الخارجى يمكن أن يكون شبعا، سائلا، رجلا، رجلا كثيرين، شيئا، نشاطا. وهناك حالات، على سبيل المثال، يكون فيها مجرد زرار قميص كل الروح الخارجى لشخص - وقد يكون رقصة البولكا، لعبة ورق الأومبر، كتابا، آلة، زوجا من البوت، لحنًا، طبله، إلخ.. ومن الواضح أن وظيفة هذا الروح الثانى هى، مثل وظيفة الروح الأول، أن تبثّ الحياة. وهما كلاهما يكملان الإنسان، الذى هو، إذا تحدثنا من الناحية الميتافيزيقية، برتقالة. إنَّ مَنْ يفقد أحد النصفين، يعانى بطبيعة الحال فقدان نصف وجوده. وهناك حالات - وهى ليست نادرة

على الإطلاق - كان فقدان الروح الخارجى فيها يعنى فقدان الوجود بأكمله. شايлок، مثلا، كان الروح الخارجى لذلك اليهودى يتمثل فى دوقاته*؛ وكان فقدانها يساوى الموت. وهو يقول لتوبال: "لن أرى ذهبى مطلقا مرة أخرى" و"أنت تغرز خنجرا فى قلبى". فكروا فى هذا التعليق بعناية: فقدان الدوقات، روحه الخارجى، كان الموت بالنسبة له. ويجب أن تفهموا، بالطبع، أن الروح الخارجى لا يبقى دائما نفس الشيء....

- لا ؟

- لا، يا سيدى. إنه يمكن أن يغير طبيعته وحالته. أنا لا أتحدث عن بعض الأرواح المستحوذة، مثل وطن المرء، الذى أعلن كامونس أنه يموت معه، أو السلطة الدنيوية، التى كانت الروح الخارجى لقيصر وكرومويل. فهذه أرواح فعالة مستأثرة: غير أن هناك أخرى مع أنها مليئة بالنشاط فهى ذات طبيعة متغيرة غير ثابتة. وهناك أشخاص، مثلا، روحهم الخارجى فى سنواتهم الأولى شُخْشِخة أو حصان خشبي، وفيما بعد، لنفترض، كان يتمثل فى الرئاسة الشرفية لمؤسسة خيرية. ومن ناحيتى، أعرف سيدة - فتاة فاتنة حقا - تغير روحها الخارجى خمس، ست مرات فى السنة. أثناء موسم الأوبرا يتمثل فى الأوبرا. وعندما ينتهى هذا الموسم يتم تبديل هذا الروح الخارجى بآخر - حفلة موسيقية، حفلة رقص فى الكازينو، فى شارع أوفيدور، فى يتروبوليس...

- اعذرونى، ولكن هذه السيدة... مَنْ هى؟ هذه السيدة من أقارب

الشيطان، ولها نفس الاسم. اسمها ليچياون... وهناك حالات كثيرة مماثلة. أنا نفسى مررت بمثل هذه التغيرات فى الروح. ولن أحاول أن أصفها هنا، لأن هذا سوف يستغرق وقتا طويلا جدا. وسأكتفى بالحدث الذى ذكرته لكم، وقد جرى وأنا فى الخامسة والعشرين من عمري...

ومتلهفين على سماع القصة الموعودة، نسى الأصدقاء الأربعة جدالهم. أيها الفضول المبارك! أنت لست فقط روح الحضارة بل أيضا تفاحة الانسجام، ثمرة إلهية وبمذاق مختلف للغاية عن التفاحة الميثولوجية الشهيرة! الحجرة التى كانت إلى الآن صاحبة بالفيزياء والميتافيزيقا، صارت الآن ساكنة سككون الموت. كل العيون كانت على چاكوبينا، الذى نفخ الرماد عن سيجاره فيما كان يستجمع ذكرياته. ثم بدأ يروى:

- كنت فى الخامسة والعشرين من عمري فى ذلك الحين، وكنت فقيرا، وكانت قد تمت ترقيتى قبل فترة قصيرة إلى رتبة الملازم الثانى فى الحرس الوطنى. ولا يمكنكم أن تتصوروا أى حدث كان هذا فى منزلنا. كانت أمى فخورة جدا! وسعيدة جدا! وظلت تنادىنى ملازمها، أبناء وبنات العم والخال، الأعمام والعمات، والأخوال والخالات... كانت فرحة صافية خالصة تماما، صحيح أنه فى القرية كان هناك بعض الأشخاص الناقمين، والنحيب، والعويل، وصريير الأسنان، كما فى الكتاب المقدس. ولم يكن من الصعب التوصل إلى الدافع: كان هناك مرشحون كثيرون لهذا المنصب وقد فقدوه هؤلاء

الأشخاص، وأنا أفترض، أيضا، أن جانبا من استيائهم كان مجانيا تماما، ليس وليد أى شيء أكثر من مجرد التميز. وأتذكر أن بعض الشبان من معارفى كانوا، لفترة ما، ينظرون إلى بارتياح عند مرورهم بى فى الشارع، ومن ناحية أخرى كان هناك كثيرون سعداء بالتعيين، والدليل هو أن بعض الأصدقاء أهدوا إلى زيا عسكريا كاملا... وحدث عندئذ أن إحدى خالاتى، دونا ماركولينا، أرملة الكاپتن بيسانيا، وكانت تعيش على بعد فراسخ عديدة من القرية فى منطقة ريفية بعيدة منعزلة، أرادت أن ترانى وتوسلت إلى أن أتى إلى مكانها وأن أحضر زىّ الرسمى. ذهبتُ يرافقتنى أحد العبيد، وقد عاد إلى القرية بعد ذلك بأيام قليلة لأن الخالة ماركولينا، بمجرد أن أتت بى إلى بيتها، كتبت إلى أمى أنها لن تتركنى أذهب لمدة شهر على الأقل، وكيف عانقتنى! وهى، أيضا، ظلت تنادىنى ملازمها. وأصدرت حكما بأننى شيطان وسيم (كانت امرأة مرحة، خالتي) وأعلنت أنها تحسد الفتاة التى ستصير زوجتى ذات يوم، وأقسمت أنه لا يوجد رجل فى الإقليم كله يمكن مقارنته بى، وكان هناك دائما "الملازم": الملازم هنا، الملازم هناك، الملازم فى كل ثانية، توسلت إليها أن تدعونى جوازينيو، كما اعتادت أن تفعل. هزت رأسها، صارخة، "لا"، قائلة إننى "السنير الملازم". أخ لزوجها، أخ للمرحوم بيسانيا، وكان يعيش هناك، لم يخاطبنى مطلقا بأى طريقة أخرى. إنه "السيد الملازم"، ليس بمزاح، بل بجدية، وأمام العبيد، الذين فعلوا بالطبع نفس الشيء. وعلى المائدة كان يخصصون لى مكان الصدارة وكنتُ

أول من يقدم إليه الطعام. لا يمكنكم أن تتصوروا! إذا كان لى أن أروى لكم أن حماس الخالة ماركولينا ارتفع إلى درجة أنها جعلتهم يركبون فى حجرة نومى مرآة ضخمة! وكانت قطعة أنيقة وفخمة برزت متنافرة مع أثاثات باقى المنزل، التى كانت بسيطة ومتواضعة... مرآة كانت قد أعطتها إياها أمها فى العماد، التى كانت قد ورثتها من أمها، التى قد اشتريتها من إحدى النبيلات البرتغاليات اللائى جنن إلى البرازيل مع حاشية دون جوان السادس فى ١٨٠٨. ولا أعرف نصيب الحقيقة فى كل هذا: كان هذا هو التراث العائلى، وعلى كل حال كانت المرأة قديمة جدا؛ لكن كان مايزال بإمكانك أن ترى الذهب، متأكلا جزئيا بفعل الزمن، وبعض الدرافيل المنقوشة فى الأركان العلوية للإطار، وبعض الزخارف بعرق اللؤلؤ، وبعض النزوات الفنية. وكلها قديمة، ولكن جيدة...

- مرآة ضخمة؟

- ضخمة. وكانت، فى الواقع، بادرة هائلة من خالتى لأن المرأة كانت فى حجرة الاستقبال، وكانت أجمل قطعة أثاث فى المنزل. غير أنه لم يكن من الممكن زحزحتها عن هدفها. قالت إنه لن يفتقدوها أحد، وإن ذلك كان فقط لمدة أسابيع قليلة، وإن "السنينور الملائم" يستحق أكثر كثيرا، مع كل هذا. والأمر الأكيد دون أدنى شك هو أن كل هذه الأشياء - التدليل، الملائمة، المراعاة - أحدثت تحولا فى داخلى، زادته وأكملته المشاعر الطبيعية للشباب. أنتم تفهمون ما أقصد، أليس كذلك؟

- لا ...

- الملازم ألغى الإنسان. ولأيام عديدة، كانت الطبيعتان تتأرجحان إلى الوراثة وإلى الأمام، ولكن لم يمض وقت طويل قبل أن تستسلم الطبيعة الأصلية للأخرى، وصرت متروكة مع جانب تافه فقط من إنسانيتي الكاملة التطور. ما حدث هو أن روحى الخارجى، الذى كان يتمثل قبل ذلك الحين فى الشمس، والهواء، والريف، وعيون السيدات الشابا، غير طبيعته وصار يتمثل فى الانحناء والتملق فى بيت المزرعة - كل شيء ذكرنى بالضابط ولا شيء بالإنسان. وكان الجانب الوحيد الذى بقى معى من المواطن هو الجانب الذى يتعلق بممارسة الامتياز العسكرى، أما الجانب الآخر فقد ذاب فى الهواء والمضى. من الصعب عليكم أن تصدقوا هذا، هه؟

- من الصعب على حتى أن أفهمه... رد أحد سامعيه بسرعة.
- ستفهم. أفعالى سوف تفسر أحاسيسى. الأفعال هى كل شيء.
وأفضل تعريف للحب فى العالم لا يساوى قبلة واحدة من الفتاة التى تحبها، وإذا كنت أتذكر جيداً فإن فيلسوفاً قديماً أثبت حقيقة الحركة بالمشى. فلننظر إلى الأفعال. فلنرَ كيف أنه فى نفس الوقت الذى كان يجرى فيه محو وعى الإنسان من الوجود جاء وعى الملازم حياً بشدة. إن الأحزان البشرية، والأفراح البشرية، عندما تكون كذلك فى حد ذاتها، قلما تحصل منى على أكثر من شفقة فاترة أو ابتسامة متعطفة. وفى نهاية ثلاثة أسابيع كنتُ كيانا مختلفاً، مختلفاً تماماً. كنت ملازماً ثانياً على وجه الحصر. ثم، ذات يوم، تلقت الخالة

ماركولينا أنباءً سيئة: ابنة، متزوجة من مالك أرض وتعيش على مسافة خمسة فراسخ من هناك، سقطت مريضة وكانت على شفا الموت. استودعك الله يا ابن أختي! استودعك الله يا ملازم! كانت أمًا مُحبة. حُزمت حقيبتها، وطلبت من أخى زوجها أن يرافقها، وطلبت منى العناية بالمرزعة. وأعتقد أنها لولا اضطرابها البالغ لقامت بترتيب الأمور على عكس ما فعلت، كانت ستترك أخا زوجها للعناية بالمرزعة، وتأخذنى معها، ومها يكن من شيء فقد بقيت هناك وحدى باستثناء العبيد. وفى الحال أصابنى إحساس خائق بالاضطهاد، وكأن أربعة جدران لسجن قد انغلقت فجأة حولى. والواقع أن روحى الخارجى هو الذى كان قد بدأ ينكمش. وكان الآن مختزلًا إلى حفنة من العقول الجاهلة الجلفة التى كان بمستطاعها بالكاد أن تتكلم اللغة، وواصل الملازم سيطرته بداخلى، غير أن قوة حياته كانت أقل حدة، وكان وجوده الواعى ضعيفا. وقد وضع العبيد سمة من التواضع فى عنايتهم بى وهو ما عوض - وإن كان هذا على نحو غير مُرضٍ - عن تدليل الأقارب والألفة العائلية اللذين كانا قد انقطعا فجأة. وحتى فى تلك الليلة، لاحظتُ، أنهم ضاعفوا احترامهم، ومرحهم، وتأكيداتهم. وكل ثانية كان يتردد "نيو الملازم وسيم جدا"، "نيو الملازم سرعان ما سيكون عقيدا"، "نيو الملازم سيتزوج فتاة جميلة، ابنة جنرال..." وابل من الثناء والتنبؤات السعيدة التى تركتني منتشيا. أه! الخونة! كيف كان لى أن أرتاب فى نيتهم الخفية؟

- على أن يقتلوك؟

- ليتها كانت كذلك!

- شيء أسوأ؟

- اصغوا إلىّ. فى الصباح التالى وجدت أننى كنت وحيدا. كان الأوغاد، بإغراء من آخرين، أو بروح تمرد عفوى، قد تآمروا على الهروب أثناء الليل؛ وهذا ما فعلوه. كنتُ وحيدا، لا أحد غيرى، وحيدا بين أربعة جدران، الشرفة الكبيرة مهجورة، الحقول غودرت، ما من نَفْس حياة بشرية فى أى مكان، أخذتُ أجرى عبر مختلف أنحاء المنزل، ومساكن العبيد، وكل مكان، لا شيء، لا أحد، ما من طفل زنجى واحد متروك وراءهم. بعض الديكة والدجاج، هذا كل شيء، وزوج من البغال يتفلسفان حول الحياة فيما كانا يهزان جسميهما لطرده الذباب، وثلاثة ثيران، حتى الكلاب كان العبيد قد نقلوها بالقوة. ما من كائن بشرى واحد! هل تعتقدون أن هذا كان أفضل من القتل؟ كان أسوأ. ليس معنى هذا أننى كنت خائفا، أقسم لكم أننى لم أكن خائفا. بل كنت حتى شجاعا إلى حد ما... لم أقلق فى الساعات القليلة الأولى. كنت حزينا بسبب الخسارة التى لحقت بالخالة ماركولينا، وكنت فى حيرة حول ما إذا كان ينبغى أن أذهب إليها لأبلغها النبأ المحزن، أم ينبغى أن أبقى لأحرس المزرعة. اخترت الطريق الثانى، لكى لا أترك المكان بدون حماية؛ وإذا كانت ابنة خالتى مريضة بصورة خطيرة فإننى كنت سأزيد ألم الأم دون جدوى، إلى جانب هذا، كنت أمل فى عودة أخى العم بيسانيا فى ذلك

اليوم أو اليوم التالي، نظرا لأنه كان قد مضى بالفعل على رحيلة ست وثلاثون ساعة، غير أن الصباح انتهى دون أى أثر له، وفى العصر بدأت أشعر بأن أعصابى لم تعد تعمل وبأننى فقدت سيطرتى على عضلاتى، ولم يعد أخو العم ببسانيا فى ذلك اليوم ولا فى اليوم التالي، ولا حتى فى ذلك الأسبوع كله، واتخذت عزلتى أبعادا هائلة. لم تكن الأيام من قبل طويلة إلى ذلك الحد مطلقا، ولم تكن الشمس قبل ذلك تحرق الأرض بمثل ذلك العناد المرهق مطلقا، وكانت الساعات تدق من قرن إلى قرن على ساعة الحائط القديمة فى حجرة الاستقبال، وكان تيك - توك، تيك - توك بندولها يضرب روحى الداخلى مثل نقر متواصل للأبدية. وبعد ذلك بسنوات عديدة، فيما كنت أقرأ قصيدة أمريكية - أعتقد أنها كانت من قصائد لونجفيلو Longfellow - وصادفتنى تلك اللازمة الشهيرة Never, for ever! For ever never (مطلقا، إلى الأبد! إلى الأبد، مطلقا!) أقول لكم، جعلت بدنى يقشعر، وقد تذكرت تلك الأيام المفزعة. كان الأمر بهذه الطريقة بالضبط مع ساعة حائط الخالة ماركولينا، Nev-er, for ever! For ever never ولم تكن ضربات بندول: كانت حوارا من جهنم، همسا من الفراغ. ثم فى الليل! ليس لأنه كان أكثر صموتا. كان صمته مثل صمت النهار تماما، ولكن الليل كان الظل، كان العزلة حتى الأضييق أو الأوسع، من عزلة النهار. تيك - توك، تيك - توك. لا أحد فى الغرف الواسعة، ولا فى الفراندا، لا أحد فى الصالات، لا أحد فى الشرفة الكبيرة، لا أحد فى أى مكان...

أتضحكون؟

- بلى، يمكن أن أقول أنك كنت فقط خائفا قليلا.

- أوه! كان سيكون أفضل لو أنني أحسست بالخوف! كنت سأبقى حيا. غير أن الشيء الغريب هو أنني لم يكن بوسعى أن أشعر بالخوف - الخوف، أي، بالمعنى المعتاد للكلمة. لقد سيطر على إحساس غير قابل للتفسير - وكأننى كنت رجلا ميتا يمشى، شخصا يسير نائما، دمية ميكانيكية. النوم، النوم الحقيقي، كان أمرا مختلفا: كان يجلب لى الراحة - ليس للسبب المعتاد، وهو أنه أخ للموت - بل لسبب آخر. أعتقد أنه يمكننى أن أفسر بصورة أفضل بهذه الطريقة. النوم، بإلغائه الحاجة إلى روح خارجى، كان يسمح للروح الداخلى بأن يعمل. ففى الليل، فى أحلامى، كنت ألبس زىى الرسمى، بفخر، وسط العائلة والأصدقاء، الذين كانوا يثنون على أناقتى، وكانوا يدعوننى الملازم. وعندئذ جاء صديق للعائلة ووعدنى برتبة الملازم الأول، وآخر برتبة النقيب أو الرائد. كل هذا نفخ الحياة فى. ولكن عندما استيقظت فى الضوء الساطع لرابعة النهار، ونظرا لأن الحياة الواعية لكيئونتى الجديدة ذات الروح الوحيد تبخرت مع الحلم، لأن روحى الداخلى كان قد فقد قدرته الوحيدة على العمل وكان الآن معتمدا على الآخر، على الروح الخارجى، الذى أصر بعناد على أن لا يعود. وواصل عدم العودة. وكنت أذهب إلى الخارج، وأنظر فى هذا الاتجاه وذاك، لأرى ما إذا كان بإمكانى أن أكتشف علامة على عودته Soeur Anne, soeur Anne, ne vois-tu rien venir?

[الأخت آن، الأخت آن، ألا ترين شيئاً آتياً؟ [لا شيء، ما من شيء -
تماماً مثل حكاية الجنيات الفرنسية. فقط التراب على الطريق
والحشائش تنمو على التل. وأعود إلى داخل البيت، عضبياً ومحبطاً،
وأتمدّد على الأريكة فى حجرة الاستقبال. تيك - توك، تيك - توك.
وأستيقظ، وأتمشى، وأقرع نوبة الرجوع على اللوح الزجاجى
للنافذة، وأصفر. وفى مرحلة قررتُ أن أكتب شيئاً ما... مقالاً
سياسياً، رواية، أنشودة: لم أذهب بعيداً إلى حد القيام باختيار
محدد. جلستُ وخربشتُ بعض الكلمات والجمل غير المترابطة على
الورق، لأخلق أسلوبى. غير أن أسلوبى، مثل الخالة ماركولينا، لم
يأت Soeur Anne, soeur Anne.... لا شيء مطلقاً. وعلى الأكثر،
رأيتُ الحبر يسودّ والورق يبيضّ.

- ألم تأكل؟

- قليلاً جداً، فاكهة، وجبة منيهوت، أطعمة محفوظة، بعض
ال جذور المشوية فى النار، ولكننى كنت سأتحمل كل شيء بسعادة
لولا الحالة الذهنية المربعة التى كنتُ فيها. تَلَوْتُ أشعاراً، أحاديث،
شذرات لاتينية، قصائد حب لجونساجا، مقاطع شعرية لكامونس،
قطع من سونيتات - مختارات فى ثلاثين مجلداً. وأحياناً زاولتُ
تمارين رياضية، وفى أحيان أخرى كنتُ أقراص رجلى؛ ولكن النتيجة
كانت فقط إحساساً جسمانياً بالألم، أو بالإجهاد، لا أكثر. وفى كل
مكان: صمت هائل، لا حدّ له، لا نهائى، يؤكدّه التيك - توك الأبدى
لبندول ساعة الحائط القديمة. تيك - توك، توك - توك...

- كافٍ لإصابة شخص بالجنون.

- لكنكم لم تسمعوا الأسوأ بعد. يجب أن أخبركم بأننى منذ أن صرت وحيدا، لم أنظر مرة واحدة فى المرأة. ولم أتجنب هذا عن عمد؛ لم يكن عندى سبب لأن أفعل هذا. كان دافعا غير واع، فزعا من اكتشاف أننى فى ذلك البيت المهجور كنت واحدا واثنين فى آن معا. وإذا كان هذا التفسير هو الصحيح، فليس هناك برهان أفضل على التناقض البشرى، لأننى بعد نهاية أسبوع قررت أن أنظر فى المرأة بالهدف المحدد المتمثل فى أن أجد نفسى منقسما إلى اثنين. نظرتُ، وأجفلت متراجعا. لقد بدا أن المرأة ذاتها، جنبا إلى جنب مع باقى الكون، تأمرت ضدى. فهى لم تطبع صورتى واضحة وكاملة، بل مبهمة، ضبابية، مشتتة، كانت ظلا لظل. ولا تسمح لى حقيقة قوانين الفيزياء بإنكار أن المرأة نسختنى طبق الأصل بنفس هيئتى وملامحى، لابد من أنها فعلت هذا. غير أن هذا لم يكن ما رأيته. ولهذا ملأنى الرعب، أرجعت الظاهرة إلى الاهتياج العصبى، وكنت خائفا إذا بقيت وقتا أطول أن يصيبنى الجنون، "سأغادر"، قلتُ لنفسى، ورفعت ذراعى فى بادرة كانت غاضبة، وكانت فى الوقت نفسه بادرة إصرار. نظرتُ فى المرأة: كانت البادرة هناك، ولكن محطمة، ممزقة، مشوهة... بدأت أرتدى ملابسى، مغمغا لنفسى فيما كنت أفعل هذا، متحنحا، نافضا ملابسى بضوضاء، فيما كنت أثبت شكواى لأزراى لجرد أن أقول شيئا ما، ومن حين لآخر كنت ألقى نظرة عجلية مختلسة نحو المرأة: كان الانعكاس هو نفس تشتت

الخطوط، نفس الخطوط الخارجية المتداخلة... واصلت ارتداء
ملابسى. وفجأة، بإلهام لا يمكن تفسيره، بدافع مفاجئ، خطرت
الفكرة ببالي... لن تخمنوا مطلقا ماذا كانت فكرتى...

- ماذا؟ ماذا كانت؟

- كنتُ أنظر فى المرأة بإصرار مستميت، متأملا ملامحى المفككة
والناقصة، التى كانت سحابة من خطوط سائبة مشوهة، عندما
جاعتنى الفكرة... لا، لا يمكنكم مطلقا تخمين ماذا كانت.

- استمر، قلْ لنا! ماذا كانت؟

- تذكرتُ أن أردتِ زىّ الملازم. ارتديته، زيا رسميا كاملا.
ولأننى كنت واقفا أمام المرأة، رفعتُ عينيَّ و... (لا شك فى أنكم
خمنتُم) عندئذ نسخت المرأة الصورة الكاملة، دون نقص خط واحد،
ودون انحراف ملمح واحد. كنتُ أنا حقا، الملازم الثانى، الذى عثر
أخيرا على روحه الخارجى. هذا الروح، الذى رحل مع سيدة المكان،
والذى تبعثر وهرب مع العبيد، كان هناك، كاملا من جديد فى المرأة.
تخليلوا إنسانا يخرج شيئا فشيئا من غيبوبة، يفتح عينيه دون أن
يرى، ثم يبدأ يرى، ويميز الأشخاص من الأشياء لكنه لا يستطيع
بعد تمييزهم كأفراد، ثم أخيرا يعرف أن هذا فلان، وأن ذلك علان،
هنا كرسى، وهناك أريكة. ويعود كل شيء إلى ما كان عليه قبل أن
يفرق فى النوم. هذا ما حدث لى. حملقت فى المرأة، تحركت من
جانب إلى الآخر، ورجعت إلى الوراء، وأومأت، وابتسمت، وكانت
المرأة تكشف كل شيء. كنتُ لم أعد آلة أوتوماتيكية؛ كنت حيا. ومنذ

ذلك الحين فصاعدا كنت شخصا آخر. وكل يوم، فى وقت بعينه، كنت أرتدى الزى الرسمى الكامل للملازم وأجلس أمام المرأة، أقرأ، وأنظر، وأتأمل. وبعد ساعتين أو ثلاث ساعات، كنت أخلع الزى من جديد. وبالاتباع الصارم لهذا الروتين، كنت قادرا على أن أتحمل ستة أيام أخرى من العزلة دون أن أحسّ بها...
وعندما عاد الآخرون فى الحجرة إلى وعيهم، كان راوى القصة قد وصل إلى أسفل السلالم فى طريقه إلى الشارع.

آدم و حواء

ماشادوده أسيس (البرازيل)

فى وقت ما خلال العقد الأول من القرن الثامن عشر، دعت زوجة صاحب مزرعة فى باييا عدة أصدقاء حميمين إلى العشاء، وأعلنت تقديم نوع خاص من "الطو" لأحد الضيوف، وكان معروفا بأنه فى غاية الشره، وأراد فى الحال أن يعرف نوع الطو، فوصفته سيدة البيت بأنه شخص فضولى، ولم تكن هناك حاجة إلى أى شيء آخر - بعد ذلك بقليل، كان الجميع يتناقشون حول الفضول، وما إذا كان سمة ذكورية أم أنثوية وما إذا كان آدم أم حواء هو المسؤول عن السقوط من الجنة: قالت السيدات إنه كان خطأ آدم، وقال السادة إنه كان خطأ حواء. لم يقل القاضى شيئا وأجاب الأب بنتو، وكان راهبا كرملياً، بابتسامة عندما سألته مضيفته، دونا ليونور، عن رأيه: "آنا، يا سيدتى العزيزة، أعزف الفيولا". وكان يكذب، لأنه لم يكن

أكثر شهرة كعازف قيولا وعازف قيثار منه كلاهوتي.

وعندما دُعي القاضي إلى الكلام، أجاب بأنه لا يوجد أساس لتكوين رأى، لأن السقوط من الجنة لم يحدث بالطريقة التى روى بها فى الكتاب الأول من أسفار موسى الخمسة (التوراة)، فهى أسفار مشكوك فى صحتها. ووسط الدهشة العامة، ارتفع ضحك الكرملى، الذى كان يعرف أن القاضي كان أحد أتقى الرجال فى المدينة وأنه أيضا كان مرحا، وصاحب خيال مبدع، وحتى كثير المزاح حقا، طالما بقيت الأمور فى الحدود الكهنوتية ومهذبة. أما فى الأمور الجادة فقد كان جادا جدا.

"أيها الأب بنتو"، قالت دونا ليونور، "اطلب من السنيور فيلوسو أن يلزم الصمت".

"لن أطلب منه أن يلزم الصمت"، أجاب الراهب، "لأننى أعرف أن كل شيء يقوله مقصود تماما".

"لكن الكتاب المقدس..." قال الأمر بالجيش، جوان باربوسا.

"فلنترك الكتاب المقدس فى سلام"، قاطع الكرملى. "السنيور فيلوسو مطلع على كتب أخرى، بالطبع..."

"أنا أعرف الرواية الحقيقية للقصة"، أصر القاضي، فيما كان يتناول طبق "الحلو" الذى قدمته إليه دونا ليونور، "وأنا مستعد لأن أقول لكم ما أعرف، طالما كنتم لا تطلبون منى أن أفعل شيئا آخر".

"تفضل، قل لنا من فضلك!"

"هذه هى الطريقة التى حدث بها الأمر فعلا. فى المقام الأول، لم

يكن الرب هو الذى خلق العالم، بل الشيطان..."

"يا للسماء!" صرخت السيدات.

"لا تذكر هذا الاسم"، رجته دونا ليونور.

"أجل، يبدو أن..." تدخل الأب بنتو.

"نسميه الشرير، إذن. كان الشرير هو الذى خلق العالم، لكن الرب، الذى استطاع أن يقرأ أفكاره، سمح له بأن يتصرف بحرية لكنه احتاط لتصحيح وصقل عمله، بحيث لا يترك الخلاص أو المحبة عرضة لأذى قوى الشر. وسرعان ما ظهر الفعل الإلهى، لأنه بعد أن خلق الكائن الشرير الظلام، خلق الرب النور، وهكذا خلق اليوم الأول، وفى اليوم الثانى، عندما خلقت المياه، ولدت العواصف والأعاصير، ولكن أنسام الأصيل الرقيقة هبطت من الفكر الإلهى. وفى اليوم الثالث، خلقت الأرض، ومنها طلعت النباتات، لكن فقط تلك التى لا تحمل ثماراً أو أزهاراً: النباتات الشوكية والنباتات القاتلة، مثل الشوكران. ولكن الرب خلق الأشجار المثمرة والنباتات التى تغذى أو تسرّ الإنسان. ولأن الكائن الشرير كان قد قام بتجويف الأغوار والكهوف فى الأرض، خلق الرب الشمس، والقمر، والنجوم. وهكذا كان عمل اليوم الرابع. وفى اليوم الخامس، خلقت حيوانات اليابسة والماء والجو. ونحن نقرب الآن من اليوم السادس، وهنا ألتمس انتباهكم الكلى".

ولم يكن بحاجة إلى أن يلتمس ذلك، إذ أن الجميع كانوا يحملقون إليه بفضول.

استمرّ فيلوسو، قائلاً إنه في اليوم السادس خلّق الرجل، وبعده في الحال المرأة. وكان كل منهما جميلاً، ولكنهما كان يملكان فقط غرائز دنيئة ويفتقران إلى الروحين، اللذين لم يكن بوسع الكائن الشرير أن يمنحهما إياهما. ونفخ الرب فيهما روحين بنفْس واحد، وعواطف نبيلة وطاهرة بنفْس آخر. ولم تقف النعمة الإلهية عند ذلك الحدّ - جعل الرب جنة عدن تطلع هناك وقاد إليها آدم وحواء، مانحاً إياهما امتلاك كل شيء. كل منهما خرّ ساجداً عند أقدام الرب، يذرفان دموع العرفان بالجميل.

"سوف تعيشان هنا"، قال لهما الرب، "لكما أن تأكلا من كل الفواكه ما عدا تلك التي من هذه الشجرة، التي هي شجرة معرفة الخير والشرّ".

أصغى آدم وحواء مطيعين، وعندما تركا وحدهما، حلق كل منهما إلى الآخر في ذهول - وبدا أنهما كليهما صارا شخصين مختلفين. وقبل أن يهبها الرب مشاعر نبيلة، فكرت حواء في تكتيف آدم بحبل، ورغب آدم في أن يضربها. غير أنهما الآن استغرقا في تأمل كل منهما الآخر وكذلك المشاهد الطبيعية الرائعة. ومن قبل لم يعرفا مطلقاً الجو بمثل هذا النقاء، أو الماء بمثل هذه العذوبة، أو الزهور بمثل هذا الجمال والشذا، ولم يحدث أن صبّت الشمس مثل هذه الشلالات من الضوء في أيّ مكان آخر. وبدأ في يد أخذها يهيئان على وجهيهما، ضاحكين من قلبهما في البداية، لأنهما حتى تلك اللحظة لم يعرفا كيف يضحكان. ولم يكن لديهما أيّ تصور عن

الزمن، ولهذا فإن كسلهما لم يفسح مجالاً للضجر - وعاشا في حالة من التأمل، وفي الأمسيات كانا يذهبان ليشاهدا غروب الشمس وطلوع القمر وكانا يُحصيان النجوم، ونادرا ما كان بوسعهما أن يُحصيا حتى ألف نجمة، لأنهما في العادة كان يسقطان نائمين وينامان مثل اثنين من الملائكة.

وبطبيعة الحال فإن الشرير صار في منتهى الغضب عندما اكتشف كل هذا، ولم يكن يستطيع الذهاب إلى الفردوس لأن كل شيء هناك كان منفرا له، كما أنه لم يكن يستطيع أن يأتي للمثل بنفسه ليواجه الرب. ثم إنه سمع حفيفاً لأوراق الشجر الجافة على الأرض فنظر إلى أسفل ورأى حية. أثاره هذا الاكتشاف فناداها: "تعالى هنا، أيتها الأفعى، يا سرعة الغضب الزاحفة، سُمّ السموم، هل تكونين سفيرة أبيك وتصلحى أعماله؟"

بذيلها، قامت الحية ببادرة غامضة بدا أنها إيجابية، منحها الشرير القدرة على الكلام، وأجابته هى بالإيجاب، إنها ستذهب إلى أى مكان قد يرسلها إليه - إلى النجوم، إذا أعطاها جناحى نسر؛ إلى البحر، إذا كشف لها عن سر التنفس تحت الماء؛ إلى أعماق الأرض، إذا علمها مواهب النملة. أخذت الخبيثة تتلوى بلا توقف، راضية بصورة مسرفة بكلامها، غير أن الشرير قاطعها: "لا شيء من هذا القبيل، ليس إلى الجو، أو البحر، أو أعماق الأرض، فقط إلى جنة عدن، حيث يعيش آدم وحواء".

"آدم وحواء؟"

"نعم، آدم وحواء".

"المخلوقان الجميلان الزان رأيناها ذات مرة، يسيران
مستقيمين. وطولين مثل أشجار النخيل؟"
"هما ذاتهما".

"أوه، أنا أمقتهما! آدم وحواء؟ لا، لا، أرسلنى إلى مكان آخر. أنا
أمقتهما! مجرد رؤيتهما تصيبنى بالغثيان. أنت لا تريد أن أصيبهما
بأى أذى..."

"لكننى أريد!"

"حقا، إنن سأذهب، سأفعل ما تشاء، يا سيدى ويا أبى. الآن
أسرعْ وقلْ لى ماذا تريدنى أن أفعل. أن ألدغ كعب حواء؟ سألدغ..."
"لا"، قاطع الشرير. "أريد العكس بالضبط. هناك شجرة فى
الجنة، شجرة معرفة الخير والشر، التى من المحذور عليهما لمسها
ومن المحذور عليهما أن يأكلا من ثمارها. اذهبى، وتكورى فى أعلى
هذه الشجرة، وعندما يمرّ بك أحدهما، ناديه بلطف، واقطفى واحدة
من ثمارها، وقدميها له، قائلة إنها ألد ثمرة فى العالم. وإذا رفض،
سوف تُصرّين على أن يأخذها، قائلة إنه يحتاج فقط إلى أن يأكلها
ليكتشف سرّ الحياة ذاتها. اذهبى، اذهبى..."

"سأذهب، لكننى لن أتكلّم مع آدم، سأكلّم مع حواء. سأذهب،
سأذهب. هل تعنى حقا سرّ الحياة ذاتها؟"

"نعم، هذا صحيح. انطلقى، يا أفعى لحمى، يا زهرة الشرّ، وإذا
نجحت، أقسم أنك سوف تمتلكين الجانب البشرى من الكون، وهو

الجانب الأفضل، لأنه ستكون لديك كعوب كثيرات من بنات حواء لتلدغيها ودم عدد هائل من بنى آدم لتحقنى فيه فيروس. اذهبي، اذهبي، ولا تنسى..."

تنسى؟ لقد حفظت بالفعل كل شيء عن ظهر قلبها. ذهبت ودخلت الفردوس الأرضية، وسعت متسلقة إلى أعلى شجرة المعرفة، وتكوّرت، وانتظرت. ظهرت حواء بعد ذلك بوقت قصير، تمشي برشاقة ومنفردة، بثقة ملكة تعرف أنه لا أحد سيسرق منها تاجها. وممزقة بالحسد، كانت الحية على وشك استدعاء السم إلى لسانها، لكنها تذكرت أنها كانت هناك بأوامر من الشرير ونادت حواء بصوت معسول. وأصيب حواء بالذهول.

- "مَنْ يناديني؟"

- "أنا التي أناديك، أنا أكل هذه الثمرة..."

- "أيتها البائسة! هذه شجرة معرفة الخير والشر!"

- "هذا صحيح. أنا أعرف كل شيء الآن، أصل الأشياء وسرّ الحياة. وأصلى، خذى قضمة، وسوف تفوزين بقدرات عظيمة على الأرض."

- "لا، أيتها الحية الغادرة!"

- "أيتها الحمقاء! كيف يمكن أن ترفضى عظمة العصور؟ استمعى إليّ، وافعلى كما أقول، وسوف تصبحان عدا هائلًا من البشر، سوف تشيدون مدناً، وسيكون اسمك كليوباترا، دايدو، سميراميس. الأبطال سيولدون من رحمك وستكونين كورنيليا.

وسوف تسمعين صوتا من السماء وستكونين ديبورا. وستغنين
وسوف تصيرين سافو. وذات يوم، إذا رغب الرب فى النزول إلى
الأرض، فسوف يختار جسمك، وسيكون اسمك مريم الناصرية. فيم
يمكن أن ترغبى أكثر؟ الملكية، الشعر، الألوهية - أنت تتنازلين عن كل
شيء بسبب طاعة حمقاء. وليس هذا كل شيء، الطبيعة ستجعلك
حتى أكثر جمالا، الألوان المشرقة وكذلك الباهتة لأوراق الشجر،
والسماء، والليل، سوف تنعكس فى عينيك. الليل، فى تنافس مع
الشمس، سوف يعربد فى شعرك. أطفال رحمك سوف ينسجون لك
أروع الملابس، ويبتكرون أزكى العطور، والطيور سوف تعطيك
ريشها، والأرض أزهارها، وكل شيء، كل شيء، كل شيء...

استمعت حواء بفتور. وصل آدم، واستمع إلى الحية، وأكد
إجابات حواء: لا شيء يستحق المخاطرة بفقدان الفردوس، لا
المعرفة، ولا القوة، ولا أى وهم دنيوى آخر. وحالما قالوا هذا، تصافحا
واستدارا بعيدا عن الحية، التى غادرت مندفعة لتخبر الشرير بما
حدث...

الرب، الذى كان قد سمع كل شيء، قال لجبريل: "اذهب، يا
رئيس ملائكتى، واهبط إلى الجنة الأرضية التى يعيش فيها آدم
وحواء، وخذهما إلى النعيم الأبدى، الذى يستحقانه على مقاومتهما
لغوايات الشرير".

عندئذ وضع رئيس الملائكة على رأسه الخوذة التى تألفت مثل
ألف شمس، وعبر السماوات فى لحظة، ووصل إلى آدم وحواء، وقال

لهما: "مرحبا، آدم وحواء. تعاليا معى إلى الفردوس التى فرّمتا بها لمقاومتكما غوايات الشرير".

مندهشين ومرتبكين، أحنى آدم وحواء رأسيهما فى طاعة، وأخرج جبريل لهما يديه، وصعد الثلاثة إلى المثوى الأبدى، حيث كان فى انتظارهما حشود من الملائكة يغنون.

"ادخلا، ادخلا. الأرض التى غادرتها متروكة الآن لمخلوقات الشرير، الحيوانات الضارية والحاقدة، النباتات الضارة والسامة، الجو غير النقى، المستنقعات. الحية الزاحفة، الكريهة، اللادغة سوف تسيطر على الأرض، وما من مخلوقات مثلكما ستجلب بصيصا من الأمل والتقوى إلى مثل هذا الشيء البغيض".

كانت تلك هى الطريقة التى دخل بها آدم وحواء الجنة - على صوت كل آلات القانون الموسيقية فيها، التى وحدت ألحانها فى ترنيمة للمرتدين عن العالم...

... انتهت قصته، وأعطى القاضى طبقه لدونا ليونور لكى تقدم له مزيدا من الحلو، فيما كان الضيوف الآخرون يحملقون الواحد فى الآخر بدهشة ذلك أنهم، بدلا من تفسير، سمعوا سردا ملغزا، أو على الأقل قصة بدون معنى ظاهر. وكانت دونا ليونور أول من تكلم: "كنتُ على حق عندما قلت إن السنيور فيلوسو يعبث بنا. فهو لم يفعل ما طلبنا منه أن يفعل، كما أن الأمر لم يحدث بالطريقة التى قال إنه حدث بها. أليس هذا صحيحا، أيها الأب بنتو؟"

"القاضى الجليل سيعرف الرد على ذلك"، أجاب الكرملى،

مبتسما.

وبمجرد أن رفع القاضي ملعقة من الحلو إلى فمه، قال: "عند إعادة النظر، لا أعتقد أن أي شيء من هذا قد حدث بالفعل، لكن، يا دونا ليونور، إذا كان قد حدث فإننا لم نكن لنوجد هنا مستمتعين بهذا الحلو، فهو بكل إخلاص لذيذ تماما! هل هو من صنع طبّاخ حلوياتك القديم من إتاياجيبي؟"

لماذا البوص مجوّف

جابريللا ميسترال (تشيلي)

- 1 -

حتى فى عالم النباتات الذى يسوده السلام، وقعت ذات يوم ثورة اجتماعية. ويُروى أن الزعامة فى هذا الحدث كانت لأعواد البوص المغرورة تلك. بثَّ الريح، وكانت من الأدوات الرئيسية للعصيان، الدعاية، وفى غمضة عين ليس غير لم يكن هناك حديث عن شيء آخر فى الأوساط النباتية. وتآخت الغابات العذراء مع الحقائق البلهاء، فى نضال مشترك فى سبيل المساواة.

المساواة فى ماذا؟ فى سُمك جذوعها، جودة ثمارها، حقها فى المياة النقية؟

لا، لا، بل المساواة فى الارتفاع لا غير. وكان المثل الأعلى هو أن ترفع كافة النباتات رؤوسها بطريقة متماثلة. فالذرة لم تفكر مطلقاً

فى أن تجعل نفسها قوية كالسنديانة، بل فقط فى أن تهزّ شواشيها
الكثيفة الشعر على نفس الارتفاع. ولم يكافح الورد كفاحاً شديداً
ليكون نافعاً كنبات المطاط، بل رغب فقط فى أن يصل إلى تلك القمة
العالية، وأن يجعل منها وسادة يهدد عليها زهوره لتنام.
باطل! باطل! لقد رسمت أوهام العظمة، وإنْ خالفت الطبيعة،
صورة كاريكاتورية لأهدافها. وعبثاً تكلمت بعض الزهور المتواضعة -
زهرة البنفسج الحية وزهرة الزنبق الفطساء الأنف - عن القانون
الإلهى وشروق الغرور. وبدتْ أصواتها بلهاء.
شاعر عجوز، له لحية كلحية إله النهر، شجب المشروع باسم
الجمال، وكانت لديه بضعة أشياء حكيمة يقولها عن التماثل، الذى
يمقته من كل النواحي.

- 2 -

كيف انتهى كل ذلك؟ يحكى الناس عن عوامل مؤثرة غريبة تفعل
فعلها. هبّت أرواح الأرض على النباتات بحيويتها المريعة، وهكذا
وقعت معجزة قبيحة.
ذات ليلة ازداد ارتفاع عالم الحشائش والشجيرات دزينات من
الأقدام، كأنما طاعة لنداء عاجل جداً من النجوم.
فى اليوم التالى، أفزع أهالى البلاد - عندما خرجوا من أكواخهم
- أن يجدوا البرسيم فى ارتفاع كاتدرائية وحقول القمح تموج
متوحشة بالسنابل الذهبية!
كان الأمر مثيراً للغضب. صرخت النباتات من الفزع، ضائعة فى

ظلام مراعيها . وسقسقت الطيور فى يأس، ذلك أن أعشاشها ارتفعت إلى ارتفاعات لم يُسمع بمثُلها . كما لم يعد يمكنها أن تطير هابطة بحثًا عن الحبّ: كان قد مضى عهد التربة التى تستحم فى الشمس، عهد بساط العشب الأخضر المتواضع .

تلكُ الرعاة طويلا بقطعانهم بجوار المراعى المظلمة: رفضت أغنامهم دخول أى شيء يمثل تلك الكثافة، خشية أن يتم ابتلاعها تماما .

فى الوقت ذاته، قهقهت أعواد البوص، مزهوة بالانتصار، وأخذت تسوط بأوراقها الثائرة القمم الزرقاء لشجر الكافور .

- 3 -

يُقال أنه مرَّ شهر على هذا الحال . ثم بدأ التدهور . وقد حدث على هذا النحو: أزهار البنفسج، التى تبهج فى الظل، جفت عندما تعرضت رؤوسها القرمزية لضوء الشمس الساطع . "هذا لا يهم"، سارعت إلى القول أعواد البوص . "أزهار البنفسج لا تساوى شيئاً على الإطلاق" .

(لكن فى بلد الأرواح، لبسوا عليها ثوب الحداد .) أزهار الزنابق، التى وصلت بارتفاعها إلى خمسين قدما، انفلقت . ومثل رؤوس الملكات، تبعثرت مقطوعة فى كل جهة رؤوس بيضاء كالرخام، جادلت أعواد البوص كما فعلت من قبل، (لكن إلهات الحُسْن أخذن يجرين هائجات فى الغابة، وهُنَّ يُعولن .) فقدت أشجار الليمون وهى فى ذلك الارتفاع كل زهراتها التى

اكتسحتها الرياح العنيفة. وداعا للمحصول!
"هذا لا يهم"، أكدت أعواد البوص مع ذلك من جديد. "كانت
ثمارها أكثر مرارة مما ينبغي".

يبس البرسيم، وكانت سيقانه تتلوى مثل خيوط فى نار.
وتدلت كيزان الذرة، لكن لم يعد ذلك نتيجة الذبول التدريجى.
ورغم ارتفاعها المسرف سقطت على الأرض، ثقيلة كطيور السمان.
البطاطس، لتقوية سيقانها، أثمرت درنات ضعيفة؛ وكانت هذه
الأخيرة أكبر قليلا من بذور التفاح.

عندئذ لم تعد أعواد البوص تضحك؛ أخيرا صارت جادة.
لم يعد يتم تلقيح زهرات الشجيرات والأعشاب: الحشرات لم يكن
بمستطاعها أن تصل إليها دون تسخين أجنتها إلى درجة الخطر.
علاوة على هذا، قيل إن الإنسان كان لم يعد لديه لا خبز ولا
فاكهة ولا علف لماشيته؛ وكان الجوع والحزن سائدين فى البلاد.
فى مثل تلك الأحوال، بقيت الأشجار الطويلة وحدها سليمة،
وارتفعت جذوعها بقوة كما كانت دائما: لم تستسلم للإغراء.
كانت أعواد البوص آخر ما سقط، وكان ذلك شاهدا على الكارثة
النهائية لنظرية مستوى ارتفاع الشجرة التى نادت بها؛ فالجذور
تعفنت نتيجة الرطوبة الزائدة، وحتى شبكة أوراق النبات لم يكن
بمستطاعها أن تحول دون جفافها.

حينئذ صار واضحا أن أعواد البوص، بالمقارنة مع جسمها
المصمت من قبل، صارت مجوّفة. كانت تمتد فراسخ إلى أعلى وهى

جائعة، لكنها، لأن داخلها كان فارغاً، كانت تدعو إلى الضحك، مثل
عراس أو دُمى.

وفى مواجهة دليل كهذا، لم يكن بمستطاع أحد أن يدافع عن
فلسفة أعواد البوص؛ ولم يقل أحد عنها شيئاً على مدى آلاف من
السنين.

الطبيعة - السخية دائماً - أصلحت التلف فى غضون ستة أشهر،
مقدرةً أن كافة النباتات البرية سوف تنمو من جديد بالطريقة
المعتادة.

الشاعر، الذى له لحية كلحية إله النهر، ظهر بعد طول غياب
وتغنى، مبتهجاً، بالعهد الجديد.

"فليكن الأمر كذلك، أيها الأعزاء. جميل البنفسج بفضل ضالة
حجمه، وشجرة الليمون بفضل هيئتها اللطيفة. جميلة كافة الأشياء
كما خلقها الرب: السديانة المهيبة والشعير الهش".

أخرجت الأرض الثمر من جديد؛ وسمنت القطعان، وتغذى
الناس.

لكن أعواد البوص - زعامة التمرد تلك - حملت على مر الزمان
وصمة عارها: كانت مجوفة، مجوفة...

سيرة تاديو إيسيدورو كروث

خ.ل. بورخيس (الأرجنتين)

(1984-1899)

إنى أبحث عن الوجه الذى كان لى

قبل خلق العالم.

Yeats, A Woman Young and Old.-

فى السادس من فبراير، 1829، توقفت القوات غير النظامية التى كانت تتقدم زاحفة من الجنوب لتنضم إلى الفرق العسكرية بقيادة لويث، والتى كانت قد وقعت بالفعل فريسة مناوشات لأقال، للاستراحة عند أثيندا التى كان اسمها غير معروف لهم، على بعد ثلاثة أو أربعة فراسخ من بيرجامينو. وعند الفجر، كان أحد الرجال ضحية كابوس عنيد: فى أعماق ظلمة كوخ أيقظ صراخه المضطرب امرأة كانت تنام معه. ولا أحد يعرف بماذا حلم، لأنه فى اليوم التالى، فى الساعة الرابعة، دحر الخيالة بقيادة سواريث الجنود غير النظاميين، واستمرت المطاردة على مسافة تسعة فراسخ، حتى نهاية

الحشائش العالية، حيث كانت الحقول قد أعتمت بالفعل، وهلك الرجل فى خندق، وكانت جمجمته مشقوقة ممزقة بسيف من حروب البيرو والبرازيل. وكانت المرأة تُسمى إيسيدورا كروث. وتم تعميد الابن الذى حملت به باسم تاديو إيسيدورو.

وليس هدفى أن أعيد رواية تاريخه. ومن الأيام والليالى التى تؤلف ذلك التاريخ تهمنى ليلة واحدة فقط؛ ولن أروى عن بقية الأيام والليالى أكثر مما لا يمكن الاستغناء عنه لجعل تلك الليلة الواحدة مفهومة. والمغامرة مسجلة فى كتاب شهير؛ أعنى فى كتاب ربما كان موضوعه "صرتُ للكل كلَّ شيء" (الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ٩ : ٢٢)، لأنه قابل لتكرارات، وتعديلات، وتحريفات، لا تنفذ تقريبا. وقد شدّد من قاموا بشرح تاريخ تاديو إيسيدورو - وهم كثيرون - على تأثير السهول على تكوين طبعه، غير أن آخرين مشابهيّن له من الجاوتشو وُلدوا وماتوا على الضفتين المقفرتين لنهر پارانا وعلى المراعى الشرقية. لقد عاش حقا فى عالم من البربرية الرتيبة. وعندما مات، فى ١٨٧٤، مصابا بالجدرى الخبيث (الأسود)، لم يكن قد رأى مطلقا جبلاً، ولا قنديل غاز، ولا طاحونة. وكان لم ير مدينة من قبل. وفى ١٨٤٩، ذهب إلى بوينوس آيرس بقطيع من المواشى من مؤسسة فرانسيسكو خابيير أثييدو؛ ودخل تجار المواشى المدينة لإفراغ أحزمة نقودهم؛ ولم يذهب كروث، العديم الثقة، إلى أبعد من نُزل صغير فى أحواش المواشى. وقضى أياما كثيرة هناك، صموتا، ينام على الأرض، ويشرب شاى الماتيه، ويستيقظ فى الفجر، ويذهب إلى

الفراش فى ساعة صلاة العصر. وأدرك (فيما وراء نطاق الكلمات أو حتى العقل) أن المدينة لا تجمعها به صلة. أحد جنود المشاة، وكان مخمورا، سخر منه. ولم يردّ كروث بشيء، غير أنه خلال ليالى رحلته عودته، كرر جندى المشاة سخرياته حول نيران المعسكر، فما كان عندئذ من كروث (الذى كان لم يُبدِ إلى ذلك الحين أى ضغينة، أو حتى انزعاج) إلا أنه صرعه بطعنة سكين واحدة. وخلال هربه اللاحق، لجأ الهارب إلى منطقة مستنقعات، وبعد عدة ليالٍ نهه صراخ طائر صيّا حى عُرف إلى أن الشرطة قد أحاطت به. وجرب سكينه على شجيرة؛ وليعطى نفسه حرية أوسع إذا صار عليه أن يقاتل مترجلا، قام بحركة سريعة بتثبيت مهمازيه على كعبيّ الجزمتين. لقد أثر أن يدافع عن نفسه على أن يستسلم. وأصيب بجروح فى ساعده، وكتفه، ويده اليسرى؛ وأصاب أشرس خصومه بجروح بالغة؛ وعندما بدأ الدم يسيل بين أصابعه، قاتل بشجاعة أكبر من أى وقت مضى، وقرب الفجر، عندما أصابه الدوار مع فقدان الدم، تم تجريده من السلاح. وفى تلك الأيام، كان الجيش يؤدى وظيفة عقابية: تم إرسال كروث إلى الخدمة فى مخفر أمامى صغير على الحدود الشمالية، وقد اشترك فى الحروب الأهلية كمواطن عادى؛ وحارب أحيانا من أجل إقليمه الأصلى، وأحيانا ضده. وفى الثالث والعشرين من يناير 1856، كان أحد المسيحيين الثلاثين الذين حاربوا، عند لاجوناس دى كاردوسو، تحت قيادة الرقيب أول أوسيبو لاپريدا، ضد مائتين من الهنود. وفى هذه المعركة تلقى طعنة رمح.

وهناك فجوات كبيرة فى قصته الغامضة والبأسلة. ونحن نعلم أنه فى سنة 1868 تقريبا كان قد عاد إلى منطقة بيرجامينو: وسواء أكان متزوجا أو كان يعيش مع عشيقه، كان أباً لطفل ومالكاً لحقل صغير. وفى سنة 1869 تم تعيينه مأمور للشرطة الريفية، وكان فى ذلك الحين قد صحح ماضيه، وفى ذلك الوقت لابد أنه كان قد اعتبر نفسه سعيدا، مع أنه فى أعماقه لم يكن كذلك. (إن ليلة جوهريه كاشفة، مخبوءة فى رحم المستقبل، كانت ماتزال فى انتظاره: الليلة التى رأى فيها وجهه أخيرا، الليلة التى سمع فيها أخيرا اسمه. والحقيقة أن ليلة واحدة تستنفد قصته: أو بالأحرى، لحظة واحدة فى تلك الليلة، عملا واحدا فى تلك الليلة، فالأعمال هى رمزنا). والواقع أن كل قدر على الإطلاق، مهما كان طويلا أو معقدا، يتألف من لحظة واحدة: اللحظة التى يعرف فيها رجل مرة وإلى الأبد مَنْ هو. ويقال إن الإسكندر المقدونى رأى مصيره المحتوم منعكسا فى التاريخ الخرافى لأخيل؛ ورأى تشارلز الثانى عشر ملك السويد مصيره فى تاريخ الإسكندر. ولم تنكشف هذه المعرفة فى كتاب لتباديو إيسيدورو كروث، الذى لم يعرف كيف يقرأ؛ وقد رأى نفسه وهو يشهد قتالا يلتحم فيه فرسان ورأى نفسه فى فارس منهم. وجرى الأحداث بالطريقة التالية:

فى الأيام الأخيرة من يونيو، 1870، تلقى أوامر بأن يلقى القبض على خارج على القانون يدين للعدالة بجريمتى قتل، وكان هذا الخارج على القانون هاربا من الخدمة العسكرية فى صفوف قوات

الحدود الجنوبية بقيادة الكولونيل بنيتو ماتشادو؛ وكان قد قتل خلاصياً فى ماخور خلال نوبة سكر؛ وفى حادث آخر مثله قتل أحد المقيمين بمنطقة روخاس؛ وأضاف التقرير المكتوب عنه أنه فى الأصل من أبناء لاجونا كولورادا. وهذا هو المكان الذى كانت القوات غير النظامية قد تجمعت فيه قبل ذلك بأربعين سنة قبل أن تخوض المغامرة التى جعلت لحم أجسادهم طعاما للطيور والكلاب؛ ومن هنا كان قد جاء مانويل ميسا، ليتم إعدامه فى النهاية فى ميدان پلاتا دى بكتوريا فيما كانت الطبول تقرر لتغطى على صوت غضبه الشديد؛ ومن هنا كان قد جاء ذلك المجهول الذى أنجب كروث ومات داخل خندق، وكانت جمجمته مشقوقة ممزقة بسيف من معارك بيرو والبرازيل. وكان كروث قد نسى ذلك الاسم؛ وبقلق طفيف لكن لا يمكن تفسيره استطاع أن يتعرف عليه الآن.... وأخذ المجرم الذى كان الجنود يتعقبونه عن كثب، يرسم متاهات طويلة وملتوية بخطوط زهابه وإيابه وهو على ظهر حصانه؛ غير أن الجنود، فى ليلة 12 يوليو، ضيقوا عليه الخناق، وكان قد لاذ بحقل تغطيه حشائش عالية. وكان الظلام دامسا تستحيل الرؤية فيه تقريبا. تقدّم كروث ورجاله، بحذر وعلى الأقدام، نحو الشجيرة التى كان الرجل الغامض يتربص أو ينام فى أعماقها المرتجفة. وصرخ طائر صيّاح ذو عرف. وغمر تاديو إيسيدورو كروث إحساس بأنه كان قد عاش هذه اللحظة من قبل، وظهر الهارب خارجا من مخبئه ليقاتل. لمح كروث، وكان مرآه مفزعا: بدا أن الشعر المفرط الطول وراء رقبته واللحية الشيباء

يلتھمان وجھہ. ویمنعنی دافع جلیّ تماماً من أن أسرد تفاصيل القتال. ویکفی التذکیر بأن الهارب جرح بشدة، أو قتل، العديد من رجال کروث. أما هذا نفسه، ففیما كان یقاتل فی الظلمة (فیما كان جسده یقاتل فی الظلمة)، بدأ یدرك. أدرك أنه ما من قدر أفضل من قدر آخر، غیر أن کل رجل ینبغی أن یبجلّ القدر الذی یحمله بداخله. أدرك أن الخیالة الآخرين وحتى زیه عبء علیه الآن. أدرك قدره الحمیم، قدر الذنب ولیس قدر الکلب الألیف. أدرك أنه هو نفسه الرجل الآخر. وطلع الفجر على السهل الشاسع. ألقى کروث قبعته العسكرية على الأرض، وصرخ قائلاً إنه لن یكون طرفاً فی جريمة قتل رجل شجاع، وبدأ یقاتل الجنود جنباً إلى جنب مع طرید العدالة مارتن فیيرو(*) .

(*) مارتن فیيرو: بطل القصيدة الملحمية التي تحمل اسمه (من تألیف خوسيه ایرنانديث) وهو النموذج الأصلي البطولی للجاوتشو - المترجم .

الانتظار

خ.ل. بورخيس (الأرجنتين)

تركته سيارة الأجرة عند رقم أربعة آلاف وأربعة فى ذلك الشارع الكائن بالناحية الشمالية الشرقية فى بوينوس آيرس. كان الوقت قبل التاسعة صباحاً؛ ولاحظ الرجل باستحسان أشجار الدلب المتناثرة، قطعة الأرض المربعة أسفل كل شجرة منها، البيوت المحترمة بشرفاتها الصغيرة، الصيدلية بجوارها، "سنبوكسات" الديكور الباهتة فى دكان الحدايد والبويات. وأطلّ حائط مستشفى طويل بلا نوافذ على الرصيف على الجانب الآخر من الشارع؛ وانعكست الشمس، إلى أسفل على مسافة أبعد، من بعض البيوت الزجاجية. فكر الرجل فى أن هذه الأشياء (التي كانت فى تلك اللحظة عشوائية وعرضية ولم تكن تتخذ أىّ نظام بعينه، مثل الأشياء التي نراها فى الأحلام) ستصير فى الوقت المناسب، إن شاء الرب، ثابتة وضرورية

ومألوفة. وعلى نافذة الصيدلية كانت حروف من الپورسلین تؤلف اسم "بريسلاور"؛ كان اليهود يحلون محلّ الإيطاليين، الذين سبق أن حلوا محلّ الكريوليين. كان ذلك أفضل؛ فالرجل كان يفضل ألا يختلط بأناس من نوعه.

ساعده سائق السيارة على إنزال بدنه؛ أخيرا فتحت الباب امرأة ذات مظهر ذاهل أو مرهق. ومن مقعده، أعاد إليه سائق السيارة إحدى القطع النقدية، كانت قطعة عملة من أوروڤاى قيمتها عشرون سنتاقو ظلت فى جيبه منذ تلك الليلة فى الفندق فى ميلو. أعطاه الرجل أربعين سنتاقو وأحسّ فى الحال: "ينبغى أن أتصرف بطريقة تجعل الجميع يغفرون لى. أنا ارتكبتُ خطأين: استخدمت قطعة نقدية أجنبية وأظهرت اهتماما بهذه الغلطة".

عبر، والمرأة تتقدمه، المدخل والباحة الأولى. وكانت الغرفة التى حجزوها له تطلّ، لحسن الحظ، على الباحة الثانية. وكان السرير من الحديد، وقد عدّل الصناعى شكله إلى منحنيات رائعة تمثل أغصاناً وخيوط نباتات متسلقة؛ وكان هناك أيضا دولاّب ملابس طويل من خشب الصنوبر، وكومودينو بأباجورة، ورفّ رُصّت عليه الكتب على مستوى الأرضية، وكرسیان من نوعين مختلفين، ومنضدة اغتسال بحوضها، وجرة، وطبق للصابون، وزجاجة من زجاج معكر اللون. وكانت الجدران مزينة بخريطة لمنطقة بوينوس آيرس و صليب؛ وكان ورق الحائط قرمزی اللون، برسوم لطواويس ضخمة مبسوطة الذیول. وكان الباب الوحيد مفتوحا على الباحة. وكان من الضرورى تغيير

وضع الكراسى لإدخال البدن. استحسّن نزول الغرفة كل شيء؛ وعندما سألته المرأة عن اسمه، قال بيّارى، ليس كتحدّ خفىّ، وليس لتخفيف الإذلال الذى لم يشعر به فى الواقع، بل لأنّ ذلك الاسم كان يزعجه، لأنّه كان من المستحيل عليه أن يفكر فى أىّ اسم آخر. ولم يُغره بالتأكيد ذلك الخطأ الأدبى المتمثل فى الاعتقاد أن انتحال اسم العدو قد يكون مناوره ذكية.

فى البداية، لم يغادر السيد بيّارى المنزل؛ وبعد أسابيع قليلة أخذ يخرج لفترة قصيرة ساعة الغروب، وذات ليلة دخل دار السينما على مبعده ثلاثة صفوف من المباني، ولم يذهب مطلقا إلى ما بعد صف المقاعد الأخير؛ وكان ينهض دائما قبل نهاية الفيلم بقليل. وكان يرى قصصا مأساوية من عالم الجريمة؛ كانت تلك القصص تنطوى، دون شك، على أخطاء؛ كانت تلك القصص تنطوى، دون شك، على صور كانت أيضا صور حياته السابقة؛ ولم ينتبه بيّارى إلى هذه الأشياء لأنّ فكرة وجود تطابق بين الفن والواقع كان غريبة عليه. وكان يحاول بخضوع أن يحب تلك الأشياء؛ وكان يود أن يحسد مغزى عرضها. وعلى خلاف الأشخاص الذين يقرأون روايات، لم ير نفسه مطلقا شخصية فى عمل فنى.

لم تصل من أجله لا رسائل ولا حتى نشرة عمومية، غير أنّه كان يقرأ دائما بأمل مبهم أحد أقسام الجريدة. وكان، فى الأصائل، يضع أحد الكرسيين بجوار الباب فيصنع ويشرب "الماتيه" * بوقار، وعيناه مثبتتان على النبات المتسلق الذى يغطى حائط المبنى المجاور

المتعدد الطوابق. كانت سنوات من العزلة علمته أن كل الأيام تميل، في ذاكرة المرء، إلى أن تكون نفس الشيء، لكنها علمته أنه ليس هناك يوم واحد، لا في السجن أو المستشفى، لا يأتي بمفاجآت، أو لا يمثل شبكة نصف شفافة من المفاجآت التافهة. وكان استسلم، في حبسات أخرى، لإغراء عدّ الأيام والساعات، لكن هذه الحبسة كانت مختلفة، لأنه لم تكن لها نهاية - ما لم تأت الجريدة ذات صباح بأنباء عن موت أليخاندر بيارى. كما أن من الممكن أن يكون بيارى قد مات بالفعل وفي تلك الحالة كانت هذه الحياة حلما. أزعجه هذا الإمكان، لأنه لم يستطع مطلقا أن يفهم تماما ما إذا كان ذلك يتراعى فرجاً أم بلاء؛ وقال لنفسه أن ذلك مُحال فأسقطه من حسابه. وفي أيام بعيدة، وهي ليست بعيدة بسبب مرور الزمن بقدر ما هي كذلك بسبب عمليْن أو ثلاثة أعمال لا رجعة فيها، وكان قد رغب في أشياء كثيرة بولع معدوم الضمير؛ وكانت هذه الإرادة القوية، التي سبق أن أثارت كراهية الرجال وحبّ بعض النساء، لم تعد تريد أى شيء بذاته: كانت تريد فقط أن تدوم، ألا تنتهى. نكهة "الماتيه"، نكهة التبغ الأسود، الخط المتطاوّل للظلال التي تغطى الباحة بالتدريج - كانت هذه حوافز كافية.

كان في البيت كلب "وولف"، وكان مُسنّاً آنذاك. وتصادق بيارى معه، كان يحادثه بالإسبانية، بالإيطالية، بكلمات قليلة كان لا يزال يحتفظ بها من لهجة طفولته الريفية. وحاول بيارى أن يعيش في الحاضر الخالص، بلا أية ذكريات أو توقعات؛ وكانت الأولى لا تمنعه

بقدر الأخيرة. وبطريقة غامضة، اعتقد أن بوسعه أن يرى أن الماضي هو المادة التي صُنِعَ منها الزمن؛ ولهذا يستحيل الزمن إلى ماضٍ في الحال. وذات يوم كان ضجره أشبه بشعور بالرضا؛ وفي لحظات كهذه، لم يكن أكثر تعقيدا بكثير من الكلب.

ذات ليلة أبقاه تحرراً حميم من الألم في الجزء الخلفي من فمه ذاهلاً مرتجفاً. تكررت هذه المعجزة المربعة خلال دقائق قليلة ثم مرة أخرى عند الفجر. وأرسل بيّارى، في اليوم التالي، في طلب سيارة أجرة تركته عند عيادة طبيب أسنان في القسم رقم واحد، هناك تم خلع ضرسه، وفي سياق هذه المحنة لم يكن لا أكثر جبناً ولا أكثر هدوءاً من بقية الناس.

في ليلة أخرى، وفيما كان عائداً من السينما، أحسّ بأن هناك من يدفعه. بغضب، باستياء، بارتياح خفيّ، واجه الشخص الوقح، وتلفظ بإهانة فظة؛ تمتم الرجل الآخر، مندهشاً، باعتذار. كان طويلاً، شاباً، أسود الشعر، تصحبه امرأة تبدو ألمانية؛ في تلك الليلة، كرّر بيّارى لنفسه أنه لا يعرفه. مع ذلك، مرت أربعة أو خمسة أيام قبل أن يخرج إلى الشارع.

بين الكتب على الرف كانت هناك نسخة من الكوميديا الإلهية، بالتعليق القديم بقلم أندىولى. ومدفوعاً ليس بالفضول بقدر ما كان ذلك بشعور بالواجب، شرع بيّارى في قراءة هذا العمل العظيم؛ قبل الغداء كان يقرأ نشيداً ثم، بترتيب صارم، الإشارات. ولم ير أن عقوبات الجحيم لا تصدّق أو مفرطة ولم يعتقد أن دانتي كان يمكن

أن يحكم عليه بالدائرة الأخيرة، حيث تقضم أسنان أوجولينو رقبة روجييري إلى ما لا نهاية.

بدا أن الطواويس على ورق الحائط القرمزى مقدّر لها أن تكون موضوعا لكوابيس ملحة، لكن السيد بيّارى لم يحلم مطلقا بشجرة رهيبة منسوجة بطريقة لا فكاك منها من طيور حية، وعند الفجر كان يحلم حلما جوهره هو نفسه، مع ظروف متغيرة. يدخل رجلان ويّارى الغرفة بمسدسات أو يهاجمانه بعد مغادرته لدار السينما أو يصبحون ثلاثتهم جميعا دفعة واحدة الغريب الذى كان قد دفعه أو ينتظرانه بحزن فى الباحة ويبدو أنهما لا يتعرّفان عليه. وفى نهاية الحلم، يأخذ مسدسه من درج الكومودينو (وصحيح أنه كان يحتفظ بمسدس فى ذلك الدرج) ويفتح النار عليهما. وكانت توقظه ضوضاء السلاح، لكنه كان دائما حلما وفى حلم آخر كان يمكن أن يتكرر الهجوم وفى حلم آخر كان عليه أن يقتلها مرة أخرى.

وفى صباح كثير الضباب فى شهر يوليو، أيقظه حضور شخصين غريبين (لا ضوضاء الباب عندما فتّاه). طويلين وسط ظلال الغرفة، وبسيطين بصورة لافتة بفعل تلك الظلال (وكانا فى الأحلام المفزعة من قبل أكثر وضوحا دائما)، وحذرين، وساكنين، وصبورين، وخافضين أعينهما وكأنها مجذوبة إلى أسفل بثقل أسلحتهما، كان أليخاندرو بيّارى ومعه غريب قد فاجأه أخيرا. بإشارة، طلب منهما أن ينتظرا وأدار وجهه إلى الحائط، كأنما ليستأنف نومه. هل فعل ذلك ليثير شفقه من قتله، أم لأن تحمل

حادث مفزع أقل صعوبة من تخيُّله وانتظاره إلى ما لا نهاية، أم -
وربما كان هذا هو الأرجح - حتى يصير القاتلان حلما، تماما كما
سبق أن كانا مرارا، فى نفس المكان، فى نفس الساعة؟
كان تحت تأثير هذا السحر عندما أزاله الانفجار من الوجود.

الشاطئ الثالث للنهر

چوان جيما رانس روزا

كان أبى رجلاً منقاداً، مطيعاً، مستقيماً. ووفقاً لأشخاص موثوقين عديدين استفسرتهم عنه، كان يتصف بهذه السجايا منذ المراهقة وحتى منذ الطفولة. وفى حدود ذكرياتى، لم يكن لا أكثر مرحاً ولا أكثر سوداوية من بقية الرجال الذين عرفناهم، ربما كان أهدأ قليلاً. وكانت أمى، وليس أبى، هى التى تحكم البيت. كانت توبّخنا كل يوم - أختى وأخى وأنا، غير أنه حدث ذات يوم أن أمر أبى بصنع قارب له.

كان جاداً تماماً بهذا الخصوص. وكان ينبغي صنعه من أجله خصباً، من خشب الميموزا. وكان ينبغي أن يكون متيناً بما يكفى للصمود عشرين أو ثلاثين سنة وألا يكون كبيراً إلا بما يكفى لأن يتسع لشخص واحد، وتذمرت أمى كثيراً لذلك. هل سيصبح زوجها

صياد سمك فجأة؟ أو صيادا؟ ولم يقل أبى شيئا. وكان بيتنا على مسافة تقل عن ميل من النهر، الذى كان فى تلك الناحية عميقا، وهادئا، وعريضا حتى أنه لم يكن بوسعك أن ترى الشاطئ الآخر.

لا يمكننى أن أنسى اليوم الذى تم فيه تسليم القارب ذى المجدافين، لم يظهر أبى ابتهاجا أو أى أنفعال آخر، كل ما هناك أنه لبس قبعته كما كان يفعل دائما وقال لنا مع السلامة. لم يأخذ معه أى طعام أو ربطة من أى نوع، وتوقعنا من أمى أن توبّخ وتهاجم، لكنها لم تفعل، بدت شاحبة للغاية وعضّت على شفتها، وكان كل ما قالت: "إذا ذهبَ بعيدا، ابقَ بعيدا. لا تعدُ أبدا!"

لم يردّ أبى أى ردّ. نظر إلى برقة، وبإشارة طلب منى السير برفقته. خشيتُ أن تشور أمى غاضبة، لكننى أطعْتُ بتلفه. اتجهنا معا إلى النهر، وأحسستُ بمزيد من الجراءة والبهجة فقلت: "أبى، هل ستأخذنى معك فى قاربك؟"

فقط نظر إلى، ودعا لى بأن يباركنى الرب، وبإشارة طلب منى أن أعود. تظاهرتُ بأننى سأفعل ما طلب لكننى، عندما أدار ظهره، تواريتُ وراء بعض الشجيرات لأراقبه. ركب أبى القارب وأخذ يجذّف مبتعدا، وزحف ظل القارب على الماء مثل تمساح، طويلا وهادئا.

لم يعد أبى. كذلك لم يذهب فى الواقع إلى أى مكان، فقط كان يجذّف ويطفو هنا وهناك فى عرض النهر، وارتاع الجميع. ما لم يحدث، ما لا يجوز أن يحدث، كان يحدث. وأقبل أقاربنا وجيراننا وأصدقاءنا ليتشاوروا حول ذلك الحدث الخارق.

كانت أُمى خجلة، ولم تقل سوى القليل وتصرفت برزانة بالغة. وبالتالي، اعتقد الجميع تقريبا (مع أن أحدا لم يقل ذلك) أن أبى أصابه الجنون. لكن قلة لمَّحوا إلى أن أبى ربما كان يفى بنذر نذره للرب أو لأحد القديسين، أو أنه ربما أصيب بمرض رهيب، ربما الجذام، وأنه رحل خوفا على الأسرة، راغبا فى الوقت ذاته فى أن يبقى قريبا منهم إلى حدٍّ ما.

وروى المسافرون بمحاذاة النهر والناس الذين يعيشون قرب الشاطئ على هذا الجانب أو ذاك أن أبى لم يضع قدمه على البر، فى نهار أو ليل. فقط كان ينتقل هنا وهناك فى النهر، متوحدا، هائما بلا هدف، مثل منبوذ. واتفق أقاربنا وأُمى على أن الطعام الذى لا شك فى أنه كان خبأه فى القارب سينفذ فى القريب العاجل وعلى أنه عندئذ إما أن يغادر النهر ويرحل بعيدا إلى مكان ما (الأمر الذى سيكون على الأقل أكثر احتراما بعض الشيء) أو أن يندم ويعود إلى البيت.

وكم كانوا بعيدين عن الحقيقة! كان لأبى مصدر سرى للإمداد بالطعام: أنا. فكل يوم كنت أسرق الطعام وأحملة إليه. وفى الليلة الأولى بعد رحيله، أوقدنا جميعا النار على الشاطئ وصلينا وظللنا ننادى عليه، كنت بالغ الحزن وأحسست بحاجة إلى أن أفعل شيئا أكثر، وفى اليوم التالى نزلت إلى الشاطئ برغيف من خبز الذرة، وسبابة من الموز، وبعض قوالب السكر الخام الأسمر. وانتظرتُ بتلهف ساعة طويلة طويلة، ثم رأيت القارب، بعيدا جدا، وحيدا،

ينساب بهدوء لا تكاد تدركه العين فوق السطح الهادئ للنهر، كان أبى يجلس فى قاع القارب، رآنى لكنه لم يجذّف نحوى ولم يأت بأى بادرة، أظهرت له الطعام ثم وضعته فى صخرة مجوفة على شاطئ النهر؛ فكان هناك بمأمن من الحيوانات، والمطر، والندى. وفعلت ذلك كل يوم، وظللت أفعله بلا انقطاع. وعلمتُ فيما بعد، لدهشتى، أن أُمى كانت تعرف ما كنت أفعل فكانت تترك الطعام هنا وهناك حيث يمكننى أن أسرقه بسهولة. كان لديها الكثير من المشاعر التى لم تفصح عنها.

وأرسلت أُمى فى طلب أخيها ليأتى ويساعد فى المزرعة وفى شئون العمل، وأتت بالمدرّس ليدرّسنا نحن الأطفال فى البيت لتعويض الوقت الذى أضعناه. وذات يوم، وبناء على طلبها، ارتدى القسيس أرديته ونزل إلى الشاطئ، وحاول أن يطرد الشياطين التى حلت بأبى. وصرخ بقوله إن من واجب أبى أن يكف عن عناده الأثيم. وفى يوم آخر رتبّت للمجىء بجنديّين ليحاولا تخويله. كل ذلك بلا طائل. ذلك أن أبى كان يمر بعيدا، وأحيانا بعيدا جدا حتى أنه كان يُرى بالكاد، ولم يردّ على أحد ولم يقترب منه مطلقا أحد. وعندما أتى بعض رجال الصحافة فى لُنش ليلتقطوا له صورة، وجّه أبى قاربه إلى الجانب الآخر للنهر وإلى داخل المستنقعات، التى كان يعرفها مثل كفّ يده لكن التى سرعان ما كان يتوه فيها غيره. وهناك فى متاهته الخصوصية، التى امتدّت على مدى أميال، بأوراق النبات الثقيلة التى ترتفع إلى ما فوق الرأس وبالخلفاء على كل جانب، كان أمانا.

وكان علينا أن نعتاد فكرة أن أبى هناك فى عرض النهر. كان علينا لكننا لم نستطع، لم نستطع مطلقا. وأعتقد أننى الشخص الوحيد الذى فهم إلى حد ما ما أراده وما لم يُرده أبى، الشئ الذى لم أفهمه مطلقا هو كيف صمد لكل ذلك العناء. نهارا وليلا، فى الشمس والمطر، فى الحرّ وفى زمهرير الشتاء المفزع، بقبعته القديمة على رأسه وبقليل جدا من الملابس الأخرى، أسبوعا بعد أسبوع، شهرا بعد شهر، سنة بعد سنة، دون أن يُبالى بالفراغ والخواء اللذين كانت تنزلق إليهما حياته. لم يضع قدمه مطلقا على أرض جرداء أو معشوشبة، على جزيرة أو شاطئ برّ. ولا شك فى أنه كان يربط قاربه أحيانا فى مكان خفىّ، ربما عند رأس جزيرة ما، ليغفو قليلا. لم يوقد نارا قط أو حتى يشعل ثقابا ولم يكن لديه حتى بطارية صغيرة. وكان لا يأخذ سوى جانب ضئيل من الطعام الذى كنت أتركه فى الصخرة المجوفة - ولم يكن كافيا، فيما بدا لى، لمجرد البقاء على قيد الحياة. ماذا كان يمكن لحالته الصحية أن تكون؟ وماذا عن الاستنزاف المتواصل لطاقته، وهو يشدّ ويدفع المجذافين ليتحكم فى القارب؟ وكيف نجا من الفيضانات السنوية، عندما كان النهر يفيض فيجرف معه كل أنواع الأشياء الخطرة - أغصان الشجر، جثث الحيوانات - التى كان يمكن أن ترتطم فجأة بقاربه الصغير؟

لم يتحدث مطلقا مع كائن حيّ، ولم نتحدث عنه مطلقا. كنا فقط نفكر، لا، لم نستطع قط أن نُخرج أبانا من رأسنا. وإنّ بدا لفترة

قصيرة أننا نفعل، فإن ذلك لم يكن سوى خمود مؤقت كان لابد أن يُفِقنا منه بحدّة إدراك وضعه المريع.

تزوجت أختي، غير أن أمي رفضت إقامة حفل زفاف. كان ذلك سيغدو أمرا حزينا، ذلك أننا كنا نفكر فيه كلما أكلنا طعاما شهيا بوجه خاص. تماما كما فكرنا فيه ونحن في فراشنا الحميم الدافئ في ليلة عاصفة باردة - هناك في الخارج، وحيدا وبلا رعاية، يحاول أن ينزح الماء من القارب بيديه وبقرعة مجوفة لا غير. ومن حين لآخر كان يقول شخص ما إنني أزداد شبها بأبي أكثر فأكثر. لكنني كنت أعرف أنه في ذلك الوقت كان لابد أن شعره ولحيته أصبحا أشعثين وأظافره طويلة، وتخيّلته نخيلا وعليلًا، أسود بالشعر وبلفحة الشمس، وعاريا تقريبا رغم الملابس التي كنت أتركها له من حين لآخر.

كان لا يبدو أنه يهتم بنا على الإطلاق. لكنني أحسستُ نحوه بالمحبة والاحترام، وكلما امتدحوني لأنني فعلت شيئا ما طيبا، كنت أقول: "علمني أبي أن أتصرّف بهذه الطريقة".

ولم أكن دقيقا تماما لكنه كان نوعا صادقا من الكذب، وكما قلت، كان لا يبدو أن أبي يهتم بنا، لكن لماذا إذن يبقى هناك بالقرب منا؟ لماذا لم يرحل صاعدا في النهر أو هابطا في النهر، بعيدا عن إمكانية أن يرانا أو نراه؟ كان وحده يعلم الإجابة.

رُزِقَت أختي بمولود، وأصرّت على أن ترى أبي حفيده. وذات يوم جميل نزلنا جميعا إلى شاطئ النهر، وكانت أختي في فستان زفافها الأبيض، ورفعت المولود عاليا، وكان زوجها يمسك بشمسية فوقهما.

نادينا صائحين على أبى وانتظرنا. لم يظهر. بكّت أختى؛ وبكىنا جميعاً كلُّ منا بين ذراعى الآخر.

رحلتُ أختى وزوجها بعيداً، ورحل أخى ليعيش فى مدينة، تغيّر الزمن، بسرّعه المعتادة غير الملحوظة، وأخيراً رحلتُ أُمى، كانت عجوزاً وزهبت لتعيش مع ابنتها. وبقيتُ أنا، فضلة متخلفة، لم يكن بوسعى على الإطلاق أن أفكر فى الزواج. فقط بقيتُ هناك مع أثقال حياتى. كان أبى، وهو يطوف وحيداً ويأساً فى عرض النهر، يحتاج إلىّ. كنتُ أعلم أنه يحتاج إلىّ، رغم أنه حتى لم يخبرنى مطلقاً لماذا يفعل ما كان يفعل، وعندما طرحْتُ هذا السؤال على الناس بصراحة وإلحاح، كان كل ما قالوه لى هو أنهم سمعوا أن أبى شرح السبب للرجل الذى صنع القارب. لكن هذا الرجل كان فى ذلك الحين قد مات ولا أحد كان يعلم أو يتذكر شيئاً. فقط كان هناك كلام أحمق، خاصة عندما كانت الأمطار تسقط ثقيلة ومتواصلة، مؤداه أن أبى كان حكيماً مثل نوح وأنه أمر بصنع القارب تحسُّباً لطوفان جديد؛ وأنا أتذكر تذكُّراً باهتاً أشخاصاً كانوا يقولون هذا، وعلى أية حال، أنا لن أدين أبى على ما كان يفعل، وكان شعرى بدأ يشيب.

لم يعد لدىّ سوى أشياء حزينة أقولها. ماذا كنتُ قد فعلت، ماذا كان ذنبى الكبير؟ أبى دائماً بعيد وغيابه دائماً معى. والنهر، النهر دائماً، يجدد نفسه دائماً أبداً. النهر، دائماً. وكنتُ بدأت أعانى من الشيخوخة، التى تكون فيها الحياة مجرد نوع من التلكؤ، أصابتنى نوبات من المرض ومن القلق، أصابنى روماتيزم مزمن مزعج. وهو؟

لماذا، لماذا كان يفعل ما كان يفعل؟ لابد أنه كان يعاني معاناة مفزعة.
وكان عجوزا للغاية. وربما خذلته قواه، ذات يوم، ليترك القارب
ينقلب؛ أو ربما ترك التيار يحمله مع مجرى النهر، فيظل يجرفه، إلى
أن يندفع من فوق الشلال فيغوص في الخضم الهائج تحته، ضغط
كل هذا على قلبي. كان هو هناك في عرض النهر وكنت أنا قد
سُرقت مني طمأنينتي إلى الأبد. إنني مذنب لا أدري بماذا، وألمى
جرح مفتوح بداخلي. وربما كنتُ عرفت - لو كانت الأمور مختلفة، لقد
بدأت أؤمن أين كان مكن الخطأ.

قلها! أصابني الجنون؟ لا، تلك الكلمة لم تنطق في بيتنا أبدا، أبدا
على مرّ السنين. لا أحد وصف أحدا بأنه مجنون، لأنه لا أحد
مجنون. أو ربما الجميع. كان كل ما فعلت هو أنني ذهبت إلى هناك
ولوّحت بمنديل حتى يكون من المحتمل أكثر أن يراني، كنتُ كامل
السيطرة على نفسي، انتظرت. أخيرا ظهر من بعيد، هناك، ثم
هناك، شبعا معتما يجلس في مؤخرة القارب. ناديتُ عليه مرارا.
وقلتُ ما كنت شديد التلف على قوله، لأعلنه رسميا، وأقسم عليه.
قلته بصوت عال بأقصى ما استطعت:

"أبى، بقيتُ عندك طويلا بما فيه الكفاية. أنت الآن عجوز
عُدْ، لا ينبغي أن تستمر فيما تفعل عُدْ وسأذهب أنا بدلا منك.
الآن فوراً، إن شئت. فى أى وقت. سأركب القارب. سأخذ مكانك."

عندما انتهيت من قول هذا خفق قلبي بمزيد من العزم.
سمعنى. هبّ واقفا. ناور بمجذافيه ووجه القارب نحوى، لقد قبل

العرض، وفجأة ارتجفت، فى أعماق أعماقى، ذلك أنه رفع ذراعه ولوح
- للمرة الأولى منذ سنين طويلة جدا، طويلة جدا. ولم أقدر .. فى
فزع، وشعرى واقف، جريت، فررت بجنون. ذلك أنه بدا أنه أت من
عالم آخر، وأنا ألتمس الصفح، ألتمس، ألتمس.
نقتُ الإحساس المريع بالبرد، الذى يأتى من الخوف القاتل،
ومرضت. لا أحد رآه أو سمع عنه مطلقا بعد ذلك. هل أنا رجل، بعد
كل هذه الخيبة؟ أنا ما كان لا ينبغى أبدا أن يكون، أنا ما يجب أن
يبقى صامتا، أعرف أنه فات الأوان، ينبغى أن أبقى فى صحارى
حياتى وسهولها التى لا تراها العين، وأخشى أننى سأقصر هذه
الحياة. لكن عندما يأتى الموت أريد أن يأخذونى ويضعونى فى قارب
صغير فى هذه المياه الأبدية بين الشاطئين الطويلين؛ وأنا، فى قاع
النهر، ضائعا فى النهر، بداخل النهر ... النهر ...

تارسيزو

دينائ سيافيرا ده كيروس

كانت ضيعة آل فيلارس تبدأ بعد الجسر الرمادى مباشرة.
وكانت هناك أشجار صفصاف بابلون قليلة تميل نحو الحائط،
متدلية إلى الأرض الترايبية وكأنها تلتمس الراحة من معاناتها.
وأثارت ريح مهددة دافئة أوراق الشجر فى الأغصان العليا وهزّت
نوافذ البيت وكأنها أرادت أن تفتحها عنوة.

كان البستانى يقتلع بعض الأعشاب الضارة، منحنيا على
الأرض، وكان يقوم بذلك بعناية فائقة لكى لا يؤذى الزهور، ومن حين
لآخر كان ينظر إلى السماء، وكانت الأرض بحاجة ماسة إلى الماء،
ولم يكن هناك شىء سوى تلك الرياح المدمرة الجافة التى هبّت بلا
رحمة على النباتات وعلى البشر.

انفتح الباب الأمامى للبيت وظهرت مانينيا، رقيقة، طويلة، شاحبة،

وكان شعرها يتطاير وفستانها الأبيض يرفرف فى الريح مثل جناح.
"إذا رأيت سيارة تعبر الجسر"، قالت، "اصرخُ وحذرهم من
المصرف".

"حاضر"، أجاب البستانى، "سأحذرهم. انتظرى عندك قليلا، يا
آنسة!"

ونفض واقفا، ممسكا بباقة من الزهور الحمراء. وكانت الزهور
كبيرة ومنتفخة وغضة حتى أنها بدتُ صناعية تقريبا.
"إنها متينة، يا آنسة. ليست هناك ريح قوية بما يكفى لاقتلاعها".
ابتسمت مانينيا شاكرة، وأخذت الزهور، وأسرعت عائدة إلى
البيت. وعندما دخلتُ حجرة الجلوس، أحسستُ بنفس الجو المزعج
المتوتر كما كان عندما غادرتها قبل ذلك بدقائق قليلة. ذلك أن أمها
وأباها كانا لا يزالان يتجادلان بطريقتهما الخاصة. كان يجرحان
بعضهما بصفة مستمرة فى سياق حرب كانت فى أن معا رهيبة
ومكبوحة على نحو غريب. لا صياح، لا بكاء، لا انفجارات غضب
مفاجئة. بل معركة منهجية باردة كانت كل إشارة فيها مدروسة، وكل
كلمة محسوبة، لا طائشة أو انفعالية بحال من الأحوال. مرّت مانينيا
عبر الحجرة، بآثارها الثقيل الداكن، كنسمة خفيفة كلها بيضاء لولا
البقعة الحمراء من الزهور فى يدها. صعدت على السلم الحديدى.
وهناك فى الأسفل، قال كارلوس فيلارس لزوجته، وعيناه على ابنته:
"أنا أعرف الغرض من تلك الزهور، طبعا. الصبى مريض، ربما
مرضا خطيرا جدا، وكل ما يمكنك أن تفكرى فيه هو أن ترسلى

ابنتك لاسترضاء القديسين بهبة. وربما شفى الصبى على الرغم منك".

قال كارلوس هذا بلهجة ساخرة، وسحب شفتاه الرفيعتان ما كان المقصود به ابتسامة. وبالنسبة لزوجته، لويزا، كانت هذه الكلمات نوعا من الخيانة. رفعت وجهها النحيل وتفرست فيه من زاوية عينها مثل طائر يوشك على مهاجمة فريسته بمنقاره.

"إنها زهور من أجل المذبح الذى صنعه تارسيزو بنفسه عندما كان صبيا صغيرا. كان ابنك مؤمنا؛ وكان مطمئن البال. أنت الذى دفعته إلى الشك، أنت بماديتك وبخطبك المبتذلة. لم يكن إيمانى، ولم تكن الزهور التى وضعناها مانينيا وأنا عند قدمي السيدة العذراء، ما شوش عقل الصبى، وأضله. إنه أنت! «أريد أن يكون ابني أسعد مما كنت أنا، أن يحصل من الحياة على سعادة أكبر. خذ كل النقود التى تريدها، يا بنى! لم تكن لدى أية نقود على الإطلاق عندما كنت فى عمرك. اذهب وتمتع بوقت طيب. افلت من هذا الالتصاق بأمك». تذكر فقط ... تذكر فقط، أنت الذى خلقت هذه الأزمة لتارسيزو - أنت ونصائحك الرائعة".

فك كارلوس فيلارس أزرار جاكته وأخذ يذهب ويجىء بخطى واسعة. وكانت خطاه هادئة ومحسوبة.

"نعم، شرحت له بعض الأمور. طبعاً. لم يكن بوسعى أن أترك ابني يصبح .. مخنثا. ما أكثر ما نظرت إلى الصبى - وهو فى مثل طولى تقريبا، رجل ناضج تقريبا - وخجلت منه، من جبينه الذى لا

يُصدّق".

عندئذ أدارت لويزا وجهها النحيل نحو زوجها وحديثه بنظرة قاسية.

"لقد ضحيت بالصبي لإرضاء غرورك أنت. الحقيقة هي أنك أحسست فجأة بأن تارسيزو متعلق بي. كان ينتمي إلي! لا شيء من فصاحتك، لا شيء من ماديته الفظة، كان من شأنه أن يقنعه. كان ما فعلته أنت ... إجراميا. نعم! أنا أقولها واضحة وجلية وأنا أتحمل مسؤولية ما أقول: أنت أمرضت الصبي، ربما لبقية عمره!"

"ليس هناك جنون في أسرتي. هل يمكنك أن تقولني نفس الشيء؟ عمك ذلك الذي ارتدى رداء الكهنوت وخرج إلى الشارع يتسول المحبة من أجل الفقراء! لقد بدد ماله، منحه لأي متشرد كان بوسعه أن يلقاه. الناس في أسرتي أسوياء".

اختلج وجه لويزا غير أن صوتها كان حازما وقاسيا.

"أنت؟ ... أنت لم تتصرف مطلقاً كما ينبغي لأب. لقد أطلعت على الكتب الفاضحة ... صحيح أنك لم تطلعه عليها مباشرة، لقد اكتفيت بتركها حوله هنا وهناك حيث كنت تعلم أنه سيراه. بالنسبة لتارسيزو، بالنسبة لصبي في براعته، كان كل سلوكك صدمة مستمرة. هذه هي كل مشكلة الصبي".

مرّ كارلوس بيده على رأسه الوسيم ذى الشعر الأشيب.

"عندما يصل الدكتور لايرتس إلى هنا، ناديني في الحال".

لم يحدث مطلقاً من قبل أن بدت لويزا شبيهة إلى هذا الحد بطائر

عدواني. ارتفع صوتها درجة: "أنا طلبت الأب نيكولاو. حقوقى مساوية لحقوقك. أنت تعتقد أن تارسيزو يحتاج إلى طبيب. أنا أعتقد أنه يحتاج إلى قسيس".

كان زوجها يوشك على صعود السلالم.

"يا للصبي المسكين! يؤسفنى لجوئك إلى حشر الأب نيكولاو فى هذا الموضوع. طريقته تلك - ولا أدرى أهو الحرص أم الغباء - فى التفكير نصف ساعة قبل أن يقول أى شىء. اطلبى أى شخص تشائين، اطلبى البستاني إن شئت - ما دام الدكتور لايرتس سيأتى. هذا هو الشىء المهم".

صعد كارلوس ببطء على السلالم، ومرّ بمانينيا، التى كانت تنزل مسرعة إلى أمها. ولو أنه نظر إليها لرأى أنها كانت منزعة. وبمجرد أن دخل أبوها حجرة تارسيزو، قالت مانينيا: "ماما، أقسمتُ أنني لن أخبر أحدا ولكننى سأخبرك على أى حال. الآن أعرف الأمر برمته. لقد أخبرنى!"

"هل فعل شيئا ما ... مخيفا عندما خرج؟ ما هو؟ أخبرينى، لكن تكلمى بصوت خافت حتى لا يسمع أبوك".

"شىء مرعب، يا ماما. لا أعتقد أنه فعل هذا حقا. لا أدرى. لكنه أراد أن يفعله".

رفعت مانينيا عينيها ونظرت إلى باب تارسيزو. كان مغلقا، لم يكن هناك خطر.

"بدأ الأمر كله ببعض الأحلام التى رآها. هل تتذكرين عندما

اعتاد البقاء فوق يستذكر، ليلة بعد ليلة؟ أنت كنت غاضبة منه، أما هو فقال إنه لم يكن ميالا إلى النوم. حسنا، الحقيقة هي ... أنه لم يرغب فى النوم. كان يخشى أن يرى كوابيس. ماما، لماذا يتعين على شخص طيب مثل تارسيزو أن يعانى هكذا؟

دق جرس الباب.

"لابد أنه الدكتور لايرتس"، قالت لويزا. "أخبرينى بالباقي فيما بعد".

سارت مسرعة إلى واجهة البيت. ولدهشتها كان الأب نيكولاو هو القادم.

"جئتُ بأسرع ... ما أمكننى". كان يتوقف كل ثانيتين ليتنفس. "وصلنى الكولونيل جوليانو ... بسيارته ... ما المشكلة؟" غاص متثاقلا فى كرسي مريح قبل أن تجد لويزا فرصة لتدعوه إلى الجلوس.

"هذه الريح ... ليست طيبة بالنسبة لى ... السيارة كادت ... تقع فى مصرف ... بعد ذلك مباشرة ... حذرنا منه ... بستانيكم". "أنا أسفة جدا. لكن لحسن الحظ كان كل ما هناك مجرد «خَصَّة»، أليس كذلك؟ لم يُصب أحد بسوء".

"هذا صحيح. والآن أخبرينى ... ما الأمر؟ ... هناك مشكلة؟ ... هذه السيدة الشابة ...؟"

"المشكلة لا تخصنى"، قالت مانينيا. "إنها تخص أخى تارسيزو". قاطعتها لويزا بإشارة خشنة.

"تارسيرو يتصرف منذ بعض الوقت بطريقة غريبة"، قالت للقسيس بصوت خافت. "يعتقد زوجى أنه مريض. أحيانا يفرّ من البيت دون أن يقول لنا إلى أين هو ذاهب، وبعد أن يعود لا يتكلم مع أحد لعدة ساعات".

"آه!" قال الأب نيكولاو. "هكذا، إذن، تارسيرو ... الذى اعتاد أن يلعب القداس ... عندما كان صغيرا ... يفرّ بطريقة غامضة؟" "نحن نعتقد ... أنه ربما كانت هناك فتاة".

"نحن نعتقد أنه ربما كانت له علاقة غرامية"، قالت مانينيا برزانه أخت كبرى.

ابتسم القسيس.

"لا بد أن الأمر كذلك ... إفراط فى الحب المراهق ... ربما دلّع ... دلّع زيادة عن اللزوم".

"ماما، هل يمكننى أن أتكلّم الآن؟ هل يمكننى أن أخبر الأب نيكولاو؟"

"طبعاً، يا مانينيا، لكن بصوت خافت. قد يسمعك أبوك".

"أيها الأب نيكولاو"، بدأت مانينيا، "إنه شىء فظيع. لا أدرى كيف أبداً".

"طفلتى، تخيلى ... أنك على كرسى الاعتراف لا تخافى".

"إنها كوابيس تارسيرو. فى البداية كان دائماً يبذل جهداً ويوقظ نفسه لكنه بعد فترة أصبح يترك نفسه ليستمر فى النوم ويحلم. كان ذلك مريعاً".

نظرت عيناها المرتعبتان إلى القسيس، ثم إلى أمها، ثم إلى القسيس من جديد.

"رأى رجالا تغطى القروح أجسادهم. رجالا بلا وجوه. بعضهم يتدلى اللحم من عظامهم العارية مثل خرق بالية. رأى أرجلا متورمة، أرجلا مصابة بالغرغرينة. رأى شفاها أكلتها القروح. رأى دما مل يقطر منها الصديد. والأسوأ"

كانت عينا مانينيا فى تلك اللحظة تغشاهما الدموع.
"... أسوأ ما فى الأمر هو أن تارسيزو أحب كل ذلك. ليتنى أفهم. قال لى: «مانينيا، لا أريد أن أخفى عنك أية أسرار». هل يمكننى أن أخبرك بما قال بالضبط، أيها الأب نيكولاو، هل يمكننى أن أخبرك مهما كان الأمر فظيعة؟ قال: «لم تجذبنى بهذا القدر ولا واحدة من تلك الصور التى فى الكتب التى يعدّ النظر إليها خطيئة. وبدلاً من الإحساس بالاشمئزاز، رغبتُ فى أن ألمس تلك القروح ... أن أقبلها ... أن أغمس أصابعى فى الصديد».

ساد صمت. ثم واصلت مانينيا: "يقول تارسيزو أن إحساسه لم يكن هكذا فى البداية. لقد رأى أولئك الرجال المرعبين أمامه ..."
زمت لويزا شفيتها. ثم قالت بصوت ذاهل خافت: "ولدى الصغير المسكين!"

احمرّ وجه الأب نيكولاو. كان يتنفس بصعوبة وبدأ أنه على شفا الإصابة بالسكتة الدماغية.
"ثم ماذا؟" قال بصعوبة.

كان من الممكن أن يُسمع صوت باب يُفتح.

"بعد ذلك، بدأت الأحلام توغل في التخليط والتشوش: أولئك الرجال الذين تغطى القروح أجسادهم أخذوا يتحولون إلى صغار جدا، صغار جدا، وأحسّ تارسيزو بأنه ضخم وقوى. كانوا يضعون أذرعة هياكلهم العظمية حوله ويطلبون المحبة أو شيئا ما. لم يعرف تارسيزو ما هو بالضبط. «لا تتركنا! لا تتركنا!» هكذا كانوا يصيحون. وكان تارسيزو سعيدا بأن يدعمهم يحضنونه ويقبلونه، ورغب في أن يقبلهم بدوره. كانت لديه رغبة مجنونة في أن يكون مثلهم، أن يكون واحدا منهم. لم يستطع أخى أن يشرح كيف كان إحساسه بالضبط، ماذا كان بالضبط ذلك الانجذاب المفزع ... غير أنه أصيب فجأة بالخوف، وولى الأدبار. وجرى الرجال القصار ذوو القروح وراءه مثل جمع من الأقزام المفزعين. وظلوا يمسكون برجليه ...

"هكذا كان الأمر إذن!" كان كارلوس يقف ممتقع الوجه للغاية، أمام مانينيا.

"أخبرى أباك"، قال. "كان ينبغي أن أعرف. كان ينبغي ... لن يحدث شيء. لن أفعل شيئا. لكن ينبغي أن أعرف. لماذا ينبغي أن يعرف الأب نيكولاو ما يدور في هذا البيت أكثر مما أعرف؟ لماذا تخفون جميعا أشياء عني؟ هيا، تكلمى!"

"هذا كل ما هناك، يا بابا. باستثناء أنه كل صباح بعد تلك الأحلام المفزعة، أراد تارسيزو ... أن يذهب إلى الكنيسة".

هزّ كارلوس رأسه غاضبا.

"أنا لست مندهشا. استمرّى".

"عندما وصل إلى سلالم الكنيسة، ما كان منه إلا أن وقف هناك ينظر إلى الشحاذين. كان مفتونا بهم. أنت تعرف تلك المرأة المصابة بالحمرة (مرض جلدي)، ذات الساق المتورّمة؛ والرجل ذا القرحة الضخمة بدلا من أنف ... وقف تارسيزو هناك ينظر إليهما. وأحسّ في دخيلة نفسه بأنه يرغب في أن يقبلهما، أن يتحسس القرحة بأصابعه، أن يربّت على الساق المتورمة. ثم كان يستدير ويجرى وهو يقول: «يا لطيف، أنقذنى! سأجنّ!» وذات ليلة ظل يحلم طول الليل، أحلاما كانت كلها مشوّشة، بأصوات مبهمّة تناديه. لا أدرى ... وعندما جاء الصباح واصل أحلامه، وعيناه مفتوحتان، وهو يدور حول نفسه وكأن شخصا ما كان يدفعه".

نظر كارلوس إلى لويزا بوجه تعلوه سيماء تعبّر في آن معا عن الظفر واليأس.

"ألم أقل لك؟ ألا يزال رأيك أننى الملوّم؟" ثم مستديرا إلى الأب نيكولاو: "اعتقدتُ لويزا أن أشياء بعينها قتلها أنا لابنى صدمته وأضلّته. اعتقدتُ - هل تتصور؟ - أن ما أسمته ماديتى كان وراء كل متاعب الصبى. قل لها إن هذا الشئ الذى حدث لتارسيزو مرض، مرض، وأننى لستُ مسئولا عنه. يمكنك أن تدرك هذا!"

كان الأب نيكولاو مضطربا.

"أحيانا"، قال، "كلّ من ... الأب والأم ... من فرط الحب ... يمكن

أن يؤدي ... يمكن أن يُسبب اضطراباً في عقل طفل ... إنهما يريدان أن يطبعا رويتهما ... على روح الطفل ... كل منهما يحاول أن يطبع صورته على قلب الطفل إنهما يريدان أن يدمرا روحه ... هذه أنانية طبيعية، لكن أحياناً ...

خففت لويزا عينيها. "أيها الأب نيكولاو"، قالت. "لنذهب إلى الصبي".

"تارسيزو نائم"، قال كارلوس. "إنه مرهق للغاية. لا ينبغي أن توقظه".

"لماذا لم يأت الدكتور!" قالت مانينا. "قال لي تارسيزو إنه يحس بداخله بقوة هائلة. وهو يقول إنه سيرحل ولا يعلم إلى أين، وهو خائف .. لقد أقفلتُ بابه بالمفتاح".

الأب نيكولاو، مبلبل الفكر بصورة ملحوظة، أخذ يطلق الكلمات كيفما اتفق: "الصبي كان يبدو دائماً ... هادئاً ... سويّاً ... ثم مستديراً إلى لويزا: "ابنتي، الرب هو الخير، هو اللطف بدلاً من أن تتجادلي مع زوجك ... ينبغي أن تحاولي الاتفاق معه على حل وسط ... أنت وزوجك لا ينبغي أن تظهراً لتارسيزو أنكما على خلاف لا بد أن هذا أضرّ بالصبي بالتأكيد يا للمسكين، لم يعرف إلى جانب أيكما يقف وفي غمار حيرته ... أصبح عقله مشوشاً هذا ما حدث هل توافق يا كارلوس؟ ... ألا توافق؟ ... كما أن من الأهمية بمكان ... ألا تنسى في هذه اللحظة ... قوة الصلاة"

غير أن كارلوس حذج لويزا بنظرة ملؤها الاتهام. وبدأ أنها تعني:

"ألم أقل لك هذا؟"

فتحت مانينيا الباب الأمامى. أخذ الوقت يتأخر. وكانت الرياح لا تزال تهب. وكانت تفكر فى أن الدكتور لايرتس لابد أن يصل فى أى لحظة.

كانت السيارة تتحرك ببطء شديد. انحنى رجل إلى الخارج من نافذة المقعد الأمامى.

"الزم هذه الناحية"، صاح البستانى. "هذه الجهة".

بعد أن عبرت السيارة الجسر توقفت وخرج منها الرجل.

"أنا عرفتكَ"، قال، "بمجرد أن ..."

شحب وجه البستانى.

"دكتور لايرتس!"

"نعم، إنه أنا. هل ظننت أن بوسعك أن تهرب من المستشفى ثم لا يقبض عليك؟"

كانت الحالة البدنية للدكتور تعبر عن السلطة والاختصاص، مثل حالة ضابط جيش.

"لماذا فعلت هذا؟ أنت تستحق العقاب. ينبغى أن أرسل سيارة الإسعاف إلى هنا وأضعك بداخلها، بلا تردد وأمام الجميع، ثم أحبسك، أحبسك فى زنزانة".

"دكتور ... أنا لست مريضا ..."

نظر إلى الطبيب متوسلا ووضع يديه خلف ظهره.

"أنت مريض. أنت تعرف هذا كما أعرف أنا. لا تخف يدك. هل

تظن أنه يمكنك أن تخذعنى؟"

ارتجف البستاني من فرط الانفعال.

"أنا الآن أكبر سنا من أن أعتاد العيش فى مستشفى ثلاثون سنة وأنا أفلح الأرض وأعتنى بالزهور. أوه، يا دكتور، يالها من حياة حزينة لشخص مسكين مثلى لا يعرف القراءة ولا يحب الاستماع إلى الراديو طوال اليوم. يا دكتور لايرتس ... أستحلفك بالرب الذى فى السماء، لا تجبرنى على العودة!"

وانفجر الرجل باكيا، مثل طفل. ثم واصل: "لا ينبغي أن تخشى شيئا. أنا لا أعيش فى الواقع مع الأسرة. لى حجرتى الخاصة بعيدا خلف البيت. لى أطباقى الخاصة. وأنا أطبخ وجباتى الخاصة ..."
"لا فائدة"، قال الدكتور. "إذا لم تذهب معى الآن، سيكون هذا أسوأ لك. سأرسل فى طلب سيارة الإسعاف!"
مسح الرجل المريض عينيه بكُمى قميصه.

"لست هنا من أجل النقود التى يدفعونها لى. لست هنا حتى لكونى حراً فى أن أتجول فى أى مكان شئت ... أنا هنا لأننى أحب النباتات الصغيرة التى خلقها الرب. ومن أجل الصبى. إنه يخرج إلى هنا ونتحدث ورحمة أمى، لم أر مطلقا طفلا مثل هذا! إننى أحبه مثل ... ابن. لكن، يا دكتور، صدّقنى، نحن نتحدث فقط، تماما كما أتحدث معك الآن. وأنا لا ألمسه أبدا بيدي".

نظر الدكتور إلى ساعته وتجهّم.

"استعدّ ودعنا نذهب. أنا أعنى ما قلت. إن شئت، اخترع ذريعة

من نوع ما للرحيل. لكن أسرع!"
ثم سار الدكتور لايرتس بصرامة نحو البيت.
عندما وصل البستاني إلى باب حجرته، تردد. ثم استدار وشرع
في صعود السلالم الخلفية.

أحسّ البستاني بالعرق يسيل على وجهه وكأنه كان يحمل حملا
ثقيلا للغاية. طرق الباب برفق. ثم وضع يده على الأكرة، لكن قبل أن
يجد الوقت ليديرها انفتح الباب. ربما كانت الريح السبب. وأشرق
نوع غامض من النور على السرير الخشبي من النافذة العليا نصف
المغلقة.

اقترب البستاني ببطء من السرير. كان جبينه يختلج. "الصبي
نائم"، فكر. "ربنا يحميه، ربنا يحميه!"
فتح تارسيزو عينيه لكنه ظل ساكنا بلا حراك فيما عدا ذلك. نظر
حواله في الحجرة ورأى البستاني.
"أوه، أنت. ادخل ... اجلس. لم أكن نائما كنت أغمض عيني
فقط."

اقترب البستاني من السرير.
"لم أت إلا ... لأقول وداعا."
"سترحل؟ لماذا؟ ألم تعد تحبنا؟".
"أتمنى أن أبقى هنا ... دائما. على أن أذهب لأن ... يصعب على
أن أخبرك. لكنني لن أعرف كيف أكذب مع تارسيزو".
"لعل السبب أنهم لا يدفعون لك ما فيه الكفاية. هل تود أن أتحدث

مع بابا؟"

"لا، يا بني. لا حاجة إلى الحديث مع أبيك. السبب أنني ... أنني

... مريض ..."

"أنت ... مريض؟" هبّ تارسيزو جالسا على فراشه وقال: "أنت في أتمّ صحة. قوى للغاية! أعتقد أن الحقيقة هي أنك لم تعد تريد أن تعيش معنا".

"أريد، لكن هذا خطر على الجميع. أمرنى الدكتور - وهو الآن تحت - بالعودة إلى المستشفى. يجب أن أبقى هناك ألم تلاحظ قط القروح على يدي؟ لا أظن. من الصعب رؤيتها من خلال كل هذه القذارة".

تسرّب شعاع من الضوء المصبوغ بلون برتقالي خفيف من الشمس الغاربة عبر الغبار وسقط مباشرة على وجه تارسيزو. تغيرت سيماؤه فجأة. كانت بشرته مشدودة لامعة وملساء كالنفخار الصيني.

"كنت أظن أن عمك هو السبب. لكن ... دعنى أرَ يدك". كان فى صوته لهجة أمرة على نحو غريب.

"يا بني ..."

اقترب الرجل من النور الساطع عند السرير، لكنه عندما وصل إليه توقف وضم يديه خلف ظهره، لأنه أحس بالخزي. ارتجف. وتلعثم بقوله "لا" بصوت هياج واهن مثل صوت طفل.

"أريد أن أرى يدك. يدك! تعال!"

كان الرجل يبدو وكأنه منوم. قاوم دقائق قليلة، ثم مدّ يديه. اخترقتا النور الساطع، واكتسبتا نوعا من التجسيم السحري. كانتا مزركشتين، ومشوهتين، ومغطاتين بالكدمات، وأرجوانيتين، ومتورمتين. والواقع أن تارسيزو لم يلاحظهما من قبل. كانتا هناك فى تلك اللحظة أمام عينيه، قطعتين من اللحم موسومتين بسمة الموت اللوشيك، تتلويان مثل حيوانين مصابين بجرح قاتل.

عندئذ أحسّ الصبى بموجة حنان تجتاحه مثل نار الحب العذبة. وفيما وقف البستانى وكأنه مشلول، أمسك تارسيزو باليدين المريختين المسكينتين، ووضع عليهما ببطء شفتيه، وقبلهما.

عندما أخبر كارلوس الدكتور لايرتس بمرض ابنه من قبل، قال الدكتور، بنوع من الخطورة العظيمة: "فى الخامسة عشرة من عمره. هم! من المحتمل أن الأمر ليس بالخطورة التى تظنها. يبدو أنه نوع من الأزمة العاطفية التى يمرّ بها الأطفال أحيانا فى فترة البلوغ. أنا لم أفحص الصبى. لكننى أعتقد، مما رويته لى، أن مشكلته يمكن تشخيصها بسهولة فى ضوء السيكولوجيا الحديثة. إن خوفه الدينى، الذى غرسه فيه أمه - معذرة، أيها الأب نيكولاو - انحرف ببعض ميوله الجنسية السوية. والقروح المفتوحة والتشويهاات التى يحلم بها ليست شيئا آخر سوى غريزته الجنسية متنكرة. إن مخاوفه الجنسية تجعل من المستحيل عليه أن يدع هذه الغريزة تعبر عن نفسها مباشرة".

تبادل الأب نيكولاو ولويزا نظرات عجلى. ونظرت مانينيا إلى

الدكتور مستفسرة.

نظر الدكتور لايرتس إلى ساعته مرة أخرى.

"حسنًا، فلنذهب لنلقى نظرة على المريض الصغير".

غير أن صيحة عالية، صيحة رجل، شقَّتْ الجو. فتح البستاني باب حجرة تارسيزو، وهبط السلالم مندفعًا، ووقف أمامهم، يضحك ويصيح مثل مجنون.

"الرب في السماء! الرب في السماء!"

نظر إليه الدكتور لايرتس بحزم وسأل: "ما هذا، يا رجل؟ ماذا جرى لك؟ لماذا لا تزال هنا؟ هل تريد أن أرسل في طلب سيارة الإسعاف لتنقلك؟"

"دعني أحكي لك، يا دكتور، دعني أحكي لك! ... حدث شيء ... أريد أن أحكي لك - لكنه صعب! ذهبت لأقول وداعا للصبي، هناك، فوق في حجرته". كانت الدموع تسيل غزيرة على خديه. "لم أكن أقصد سوى أن أودعه. لم أكن أريد أن يعرف شيئًا عن يدي. لكنه اكتشف، رأهما".

فتحت لويزا فمها كأنما لتتكلم لكنها، مذعورة، ظلت صامتة.

"يا دكتور، ما حدث ... ما حدث هو أنه عندما اكتشف تارسيزو أمر يدي، تغير وجهه بكامله. كان مختلفًا للغاية، وبدا وكأنه شخص آخر. وكنت مرتعبًا".

وقفوا جميعًا حول البستاني في دهشة وخوف. أحسُّوا بأن شيئًا مفرعًا حدث. وواصل الرجل كلامه.

"أمسك تارسيزو بيديّ. أردت أن أسحبهما بعيدا، لكننى والرب على ما أقول شهيد عجزت عن الحركة. كان ذراعى أشبه بحجر! وبدأ تارسيزو يقبل يديّ. فعل هذا بنوع من الحزم لكنه كان فى الوقت ذاته حانيا ورقيقا ... من الصعب أن أصف كيف فعل ذلك وبعد ذلك ... حدث".

اختنق صوت البستانى قليلاً ولم يستطع أن يواصل. ثم استردّ صوته وراح يتكلم كما اتفق: "معجزة! دكتور لايرتس، انظر إلى يديّ! ملاك سيدتنا العذراء هذا، فيما كان يقبل يديّ بدأت البقع تختفى. حتى القروح لقد ذهبت! انظر!"

ومدّ الرجل يديه ليراهما الدكتور. كانتا صافيتين، ملساوين، رقيقتين، مثل يديّ طفل حديث الولادة.

وفما كان الجميع يحملقون، قال الأب نيكولاو بصوت خفيض، وكأنه يرثى: "ولم أفهم قط لم أر قط ..."

اندفعت مانينيا صاعدة السلالم، وهى تصرخ، "تارسيزو!" وفتحت الباب وبعد ذلك بلحظة اندفعت هابطة.

"لقد رحل"، قالت. لكننى كنت أقفلت الباب بالمفتاح. إننى أتذكر أننى فعلت هذا".

اندفعت مانينيا، يتبعها والداها، إلى الحديقة. جرت بخفة، وفستانها الأبيض يرفرف مثل شراع فى البحر. عبرت الجسر. كان تارسيزو سبقهم بمسافة، وكان يسرع خطاه.

"تارسيزو، لا ترحل! انتظر، تارسيزو - انتظر من أجلى!"

ورغم محاولتها المستميتة، عجزت عن اللحاق به. ومن بعيد لَوَّح
بهدوء، مودِّعاً. أَحَسَّتْ مانينيا بأن الأرض تميد من تحتها. فكرتُ في
الدنيا الواسعة للفقراء، المرضى، المشوَّهين، التي رحل إليها أخوها
في غمرة حب، إلى غير رجعة. وبدا أن الشفق الأحمر بلون الدم
يتركز على شبح الصبي، الذي بدا أنه يزداد جلالاً فيما كان ينطلق
مبتعداً أكثر فأكثر.

کوابیس

خولیو کورتاثر (الأرجنتین)

انتظر، الجميع قالوا هكذا، عليك أن تنتظر لأنه فى حالات كهذه الحالة لا يمكنك أبدا أن تعرف، حتى الدكتور رايموندى قال هكذا، عليك أن تنتظر، فى بعض الأحيان يكون هناك رد فعل وهذا يحدث أكثر فى حالة شخص فى عمر ميتشا، عليك أن تنتظر، يا سيد بوتو، نعم، يا دكتور، ولكن مرّ الآن أسبوعان وهى مازالت لا تفيق، أسبوعان وهى راقدة هناك وكأنها ميتة، يا دكتور، أعرف، يا مدام لويزا، إنها حالة غيبوبة كلاسيكية، وكل ما يمكننا أن نفعل هو أن ننتظر. لاورو أيضا انتظر، ففى كل مرة عاد فيها من الجامعة كان يتوقف للحظة فى الشارع بالخارج قبل أن يفتح الباب، وكان يفكر، اليوم، اليوم سأجدها أفاق، ستكون قد فتحت عينيها وستكون منهمكة فى الحديث مع ماما، فلا يمكن أن يستمر الأمر كل هذا

الوقت الطويل، لا يمكن أن يكون الأمر أنها ستموت في العشرين، من المؤكد أنها ستكون جالسة في الفراش تتحدث مع ماما، ولكن كان عليهم فقط أن يظلوا منتظرين، لا تغيير، يا بُنى، سيعود الدكتور بعد الظهر، إنهم جميعاً يقولون أنه لا يمكنهم أن يفعلوا شيئاً. تعالْ كُلْ شيئاً، يا بُنى، أمك ستبقى مع ميتشا، عليك أن تدخل بعض الطعام في جوفك، لا تَنْسَ أن أُمَامك امتحانات، سنشاهد الأخبار معا. لكن كل شيء مرّ وتغيّر، أما الثابت الوحيد غير المتغير، الشيء الوحيد الذى ظل كما هو بالضبط يوماً بعد يوم، فلم يكن سوى ميتشا، أثر ميتشا على الفراش، ميتشا النحيلة والهزيلة، الراقصة الشعبية ولعبة التنس، ميتشا المسحوقة والساحقة للجميع طوال أسابيع عديدة إلى الآن، عملية فيروسية معقدة، حالة غيبوبة، يا سيد بوتو، من المستحيل عمل أية تكهنات، يا مدام لويزا، فقط أن نقف إلى جانبها وأن نعطيها كل فرصة، إن الشباب فى ذلك العمر أقوياء جداً، وراغبون جداً فى الحياة. ولكنها لا تستطيع أن تساعد نفسها، يا دكتور، إنها لا تلاحظ أى شيء، إنها تشبه، آه يا إلهى، اغفر لى، أنا لا أدري ماذا أقول.

ولا كان لاورو يصدق ذلك تماماً، كان الأمر أشبه ما يكون بمقلب من مقالب ميتشا، لقد كانت دائماً تقوم بأسوأ أنواع المقالب، تنتكر كشبح على السلم، وتخفى منفضة من الريش داخل الفراش، ويضحكان كلاهما بأعلى صوت، وينصب كل منهما للآخر فخاخاً، ويعبثان بتمثيل أنهما عادا طفلين من جديد. عملية فيروسية معقدة،

ثم قطعت القوة المبالغتة ذات أصيل بعد الحمى والآلام، دفعة واحدة، الصمت، البشرة الشاحبة شحوب الموتى، التنفس المتباعد والهادئ. الشيء الوحيد الهادئ فى ذلك المكان المليء بالدكاترة والأجهزة والتحليل والاستشارات، إلى أن سيطر على الموقف بالتدريج مقلب ميتشا، معلّقاً فوقهم جميعاً ساعة بعد ساعة، حيث تفسح صرخات السيدة لويزا اليائسة المجال لبكاء مكتوم تقريباً، للكمد فى المطبخ وفى الحمام، أما شتائم الأب فتقاطعها الأنباء ونظرة عجل على الجريدة الصباحية، وثورة لاورو المتشككة تقاطعها رحلات إلى الجامعة، وفصول، واجتماعات، وبصيص الأمل فى كل مرة عادة فيها من وسط المدينة، سأعود إليك، يا ميتشا، لا يمكنك أن تفعل شيئاً كهذا، أنت أيتها الحمقاء، سأعود إليك، وسترتين. وبصرف النظر عن الممرضة التى ظلت عاقدة الحاجبين بهدوء، كانت ميتشا هى الشخص الوحيد الذى بقى هادئاً؛ وكانوا قد أرسلوا الكلب إلى منزل أحد الأعمام، ولم يعد الدكتور رايموندى يأتى مع زملائه، فقط كان يمرّ فى الأمسيات وكان لا يكاد يقضى أى وقت هناك؛ وبدا أنه هو أيضاً يحسّ بثقل جسم ميتشا يسحقهم أكثر فأكثر كل يوم، فيعودهم على الانتظار، فذلك كل ما يمكنهم أن يفعلوا.

* * *

بدأت الكوايبس فى الأصيل الذى عجزت فيه السيدة لويزا عن العثور على الترمومتر وعندئذ نزلت الممرضة، مذهشة، إلى الصيدلية على الناصية لتشتري ترمومترا آخر. وكانتا تتحدثان عنه، لأنه لا

يمكنك أن تفقد ترمومترا بتلك الطريقة، ليس وأنت تستخدمه ثلاث مرات فى اليوم. وقد أصبحوا معتادين على الكلام بصوت مرتفع بجوار فراش ميتشا، فالهمسات التى استخدموها فى البداية لم تعد تعنى شيئا لأن ميتشا كانت غير قادرة على سماعهم، وكان الدكتور رايموندى على يقين من أن الغيبوبة جردتها من كل حساسية، فكان بوسعك أن تقول أى شيء دون أن يتغير مطلقا تعبير وجه ميتشا اللامبالى. وكانتا لاتزالان يتحدثان عن الترمومتر عندما سمعتا طلقات الرصاص عند الناصية، وربما فى مكان أبعد، فى ناحية "جاؤونا". نظرت كل منهما إلى الأخرى، وهزت الممرضة كتفيها لأن إطلاق الرصاص لم يكن بالشيء الجديد أبدا فى الحى أو فى أى مكان آخر بالمدينة، وكانت السيدة لويزا على وشك أن تقول شيئا آخر عن الترمومتر عندما رأتا يَدَيَّ ميتشا تهتزان برعشة طفيفة. ولم يستغرق ذلك سوى ثانية واحدة غير أن كل واحدة منهما لاحظته، وصرخت السيدة لويزا وغطت الممرضة فمها، ودخل السيد بوتو قادما من حجرة المعيشة، ورأوا ثلاثتهم كيف تكررت الرعشة على طول جسم ميتشا بأكمله، كثعبان سريع ينزلق من العنق إلى القدمين، ارتعاشة للعينين تحت الجفون، حيث بدّل التقلص الطفيف ملامحها وكأنها تبذل جهدا للتكلم، لتئنّ، ثم إسراع النبض، والعودة البطيئة إلى الجمود. التليفون، رايموندى، فى الحقيقة ليس هناك تغيير بالفعل، ربما أمل أكثر قليلا رغم أن رايموندى لا يعبر عن ذلك بصراحة، أيتها العذراء الطاهرة، خَلَّيْها تشفى، خَلَّى بنتى تفيق،

خَلَّى هذا العذاب الأليم ينتهى، يارب. لكنه لم ينته، وبدأ من جديد بعد ذلك بساعة، وصار متكررا أكثر فأكثر؛ كان يبدو وكأن ميتشا تحلم وكأن حلمها أليم محزن، ويعود الكابوس دون أن يكون أحد قادرا على الهرب منه، حيث يكون الواحد إلى جوارها، يراقبها ويكلمها دون أن يصل إليها أى شيء من العالم الخارجى، مغزوة بالفعل بذلك الشيء الذى كان يواصل بطريقة ما ذلك الكابوس الطويل الذى ظلوا يعيشونه، دون أى اتصال ممكن، أوه نجها يارب، لا تتركها هكذا، ويعود لاورو من أحد الفصول، ويقف مثل الآخرين بجوار الفراش، واضعا يداً على كتف أمه وهى تصلى.

* * *

فى تلك الليلة كانت هناك استشارة أخرى؛ أحضروا معهم جهازا جديدا بضمادات ماصة والكترودات وقاموا بتثبيتها فى الرأس والرجلين، وتناقش طبيبان صديقان لرايموندى الحالة لفترة طويلة فى حجرة المعيشة، سيكون علينا أن نواصل الانتظار، يا سيد بوتو، الصورة العامة لم تتغير بعد، ولن يكون من الحكمة أن نفكر فى هذا على أنه أحد الأعراض الإيجابية. ولكن هناك مشكلة أنها بدأت تحلم، يا دكتور، إنها تتعرض لكوابيس، لقد رأيت هذا بنفسك، وسيبدأ من جديد أن تحس بشيء ما وتعانى، تعانى بشدة، يا دكتور. إنها فى حالة خاملة، يا مدام لويزا، كل هذا فى اللاوعى، صدقنى، ينبغى أن ننتظر وألا ندع أنفسنا نخدع، ابنتك لا تعانى، أعرف أن هذا مؤلم لك، سيكون من الأفضل أن تتركها فى رعاية الممرضة إلى أن تظهر

علامات على التقدم، حاولى أن تستريحى، يا مدام لويزا، خذى الحبوب التى أعطيتها لك.

ظلّ لاورو ساهرا بجوار ميتشا حتى منتصف الليل، وكان يقرأ مذكرات امتحانه من وقت لآخر. وعندما سمع صفارة الإنذار، تدكّر أنه كان عليه أن يتصل تليفونيا بالرقم الذى كان قد أعطاه لوثيرو له، لكن ليس من البيت وكان من غير الوارد أن ينزل إلى الشارع بعد صفارة الإنذار. رأى أصابع يد ميتشا اليسرى تتحرك ببطء، ومرة أخرى بدا وكأن العينين تدوران تحت الجفون. ونصحته الممرضة بأن يغادر الحجرة، فليس هناك ما يمكن عمله، سوى الانتظار. "لكنها تحلم"، قال لاورو، "إنها تحلم من جديد، فقط انظرى إليها". واستمرّ ذلك طوال فترة استمرار صفارة الإنذار فى الخارج، اليدان اللتان بدا وكأنهما تبحثان عن شيء ما، والأصابع وهى تحاول العثور على مسكة على الملاءات. والآن كانت السيدة لويزا فى الحجرة أيضا، غير قادرة على النوم. لماذا لم تأخذ حبوب الدكتور رايموندى؟ سألت الممرضة غاضبة تقريبا. "لا أجدها، كانت على الكومودينو الخاص بى، لكننى لا أجدها"، قالت السيدة لويزا، وكأنها غير متأكدة. ذهبت الممرضة تبحث عن الحبوب، وحملق لاورو وأمه كل منهما فى الآخر، وكانت ميتشا تحرك أصابعها الآن بصعوبة وأحسّا أن الكابوس استمر، متواصلا بعناد إلى الأبد وكأنه يعارض الوصول إلى النقطة التى يمكن فيها لنوع من شفقة، من رحمة أخيرة، أن يوقظها كما فعل مع كل شخص آخر، أن ينقذها من هذا الرعب. لكنها ظلت

تحلم، وفى غضون لحظة ستبدأ الأصابع فى الارتعاش من جديد. "لا أجدها فى أى مكان"، قالت المريضة. "لقد ضعننا تماما، نحن لم نعد نعرف أين تختفى الأشياء فى هذا البيت".

* * *

وصل لاورو متأخرا فى الأمسية التالية، وسأله السيد بوتو سؤالاً غامضاً وسط التعليق على كأس كرة القدم مباشرة، دون أن يرفع عينيه عن التليفزيون. "التقيتُ بقليل من الأصدقاء"، قال لاورو، وهو يبحث عن شيء ما يصنع به ساندويتشا لنفسه. "ذلك الهدف كان جميلاً"، قال السيد بوتو، "الحمد لله أنهم يعيدون عرض المباراة، يمكننا الآن أن نشاهد تلك التصويبات الرئيسية بالتفصيل". وبدا أن لاورو غير مهتم بإحراز الهدف، وكان يأكل وهو ينظر إلى أسفل نحو الأرضية. "أنا متأكد أنك تعرف ماذا تفعل، يا بُنى"، قال السيد بوتو، وهو لا يزال يشاهد الكرة، "لكن كن حذراً، أليس كذلك". رفع لاورو عينيه ونظر إليه بدهشة، وكانت هذه هى المرة الأولى التى سمح فيها الأب لنفسه بمثل تلك الملاحظة الشخصية. "لا تقلق، أنا بخير"، قال، وهو ينهض واقفا ليضع حداً للحوار.

كانت المريضة قد جعلت ضوء حجرة النوم خافتاً، وكان يمكن بالكاد رؤية ميتشا. وعلى الفراش، أبعدت السيدة لويزا يديها عن وجهها وقبّلها لاورو على جبينها.

"إنها كما هى"، قالت السيدة لويزا. "إنها هكذا طول الوقت. انظر، انظر كيف يرتعش فمها، يا للمسكينة، ما الذى تراه؟ يارب،

كيف يمكن لهذا أن يستمر ويستمر، هذا..."
"أمى".

"لكن هذا لا يمكن أن يكون، يا لاورو، أنا الشخص الوحيد الذى يبدو أنه يلاحظ، لا أحد يدرك أنها فى كابوس طول الوقت وأنها لن تفيق منه..."

"أمى، أنا أعرف، أنا أيضا أدرك هذا. لو كان هناك شيء يمكن عمله فإن رايموندى كان سيعمله. لا يمكنك أن تساعدني بالبقاء هنا، عليك أن تذهبي وأن تنامي قليلا، خُذى حبة ونامى".

ساعدنا على النهوض واقفة ورافقها فى المشى حتى الباب.

"ماذا كان هناك، يا لاورو؟" سألت، وهى تتوقف فجأة. "لا شيء، يا أمى، طلاقات رصاص قليلة فى مكان بعيد، أنت تعرفين". لكن ما الذى كانت تعرفه السيدة لويزا؟ لماذا يقول أى شيء أكثر؟ الآن نعم، كان الوقت متأخرا؛ بعد أن يرافقها إلى حجرة نومها، سيكون عليه أن ينزل إلى المحل الذى فى الناصية وأن يتصل تليفونيا بلوثيرو.

لم يجد المعطف الجلدى الأزرق الذى كان يحب أن يلبسه فى الليل؛ وفتش بدقة فى الدواليب التى فى الصالة ظناً منه أن أمه علّقته هناك، وفى النهاية لبس أىّ جاكيت قديم لأن الجو مائل إلى البرودة فى الخارج. وقبل أن يغادر البيت، دخل حجرة ميتشا للحظة؛ وتقريبا قبل أن يراها فى الظلام أحسّ بالكابوس، بارتعاش اليدين، بالساكن الخفى ينزلق تحت الجلد. فى الخارج، صفارة الإنذار من جديد؛ لا ينبغي أن يخرج إلا فيما بعد، لكن عندئذ

سيكون المحلّ مغلقاً ولن يكون قادراً على الاتصال تليفونيا. وتحت الجفون، تحركت عينا ميتشا وكأنها تحاول أن تهرب، أن تنظر إليه، أن تعود إلى جانبه. وربّت على جبينها بإصبع واحد؛ كان خائفاً من ملامستها، من المساهمة في الكابوس بحافز خارجي. وظلت العينان تدوران في محجريهما وتحرك لاورو مبتعداً؛ لم يعرف لماذا، لكنه أحس أكثر فأكثر بأنه خائف؛ إن فكرة أن ميتشا قد تفتح عينيها وتتنظر إليه جعلته يتراجع إلى الوراء. ولو كان أبوه قد ذهب إلى الفراش لكان بوسعه أن يتصل تليفونيا من حجرة المعيشة، محتفظاً بصوته خفيضاً، لكن السيد بوتو كان لا يزال يتابع التعليقات الرياضية. "نعم، هذا شيء يعلقون عليه حقاً"، قال لاورو لنفسه. سوف يستيقظ مبكراً ويتصل تليفونيا بلوثيرو قبل أن يذهب إلى الجامعة. ومن بعيد، رأى الممرضة تخرج من حجرة النوم، حاملة شيئاً لامعاً، سرنجة أو ملقعة.

* * *

حتى الزمن صار ضائعاً أو واقعاً في شرك ذلك الانتظار المتواصل: ليالى الأرق ونهارات النوم لتعويضها، الأقارب والأصدقاء وهم يأتون في أية لحظة ويتناوبون على إلهاء السيدة لويزا أو يلعبون الدومينو مع السيد بوتو؛ ممرضة بديلة لأن الأخرى كانت بحاجة إلى مغادرة بوينوس آيرس لمدة أسبوع؛ فناجين القهوة التي لم يعثر عليها أحد لأنها كانت مبعثرة في كل أنحاء البيت؛ لاورو وهو يعود فجأة كلما استطاع ويغادر في كل الأوقات؛ رايموندى الذى لم يعد يرنّ

الجرس قبل أن يدخل ليتبع نفس الروتين، لا تغيّر إلى أسوأ، يا سيد بوتو، إنها عملية طويلة لا يمكنك خلالها أن تفعل أكثر من الوقوف بجوارها، إننى أقوم الآن بتعزيز التغذية بالأنبوبة، وينبغى أن ننتظر. لكنها تحلم طول الوقت، يا دكتور، انظر إليها، إنها لم تعد تحصل على أى راحة. الأمر ليس كذلك، يا مدام لويزا، أنت تتصورين أنها نائمة لكن ليس هناك سوى مجرد ردود أفعال بدنية، ومن الصعوبة بمكان شرحها لأنه فى حالات كهذه الحالة هناك عوامل أخرى، أعنى، لا تتصورى أنها واعية بما تصفيه بأنه حلم، وربما كانت كل تلك الحيوية علامة جيدة، كل تلك الانعكاسات اللاإرادية، صدقينى، إننى أتابعها بدقة، أنت التى عليك أن ترتاحى، يا مدام لويزا، تعالى هنا، سأقيس ضغط دمك.

بالنسبة للاورو أصبح من الصعب أكثر فأكثر أن يعود إلى البيت، فماذا يفعل مع التحرك من قلب المدينة وكل ما كان يجرى فى الجامعة، ومع ذلك، بسبب أمه أكثر مما بسبب ميتشا، سيحضر فى كل الأوقات ويبقى مدة قصيرة، يسمع نفس القصص القديمة، ويتحدث مع والديه، مبتكرا موضوعات للنقاش لكى ينتزعهما إلى خارج الحفرة التى وقعا فيها. وفى كل مرة ذهب فيها إلى جانب فراش ميتشا، كان ينتابه نفس الإحساس باتصال مستحيل، ميتشا القريبة منه إلى هذا الحد، وكأنها تستجد به، الإشارات المبهمة للأصابع وتلك النظرة الداخلية التى تحاول أن تخرج، شيء ما استمر وتواصل، رسالة سجين عبر جدران الجلد، صرختها العديمة

الجدوى بصورة لا تحتل طالبة العون. ومن حين لآخر، استحوذت عليه الهستيريا، يقينه بأن ميتشا تعرفت عليه أكثر مما تعرفت على أمهما ذاتها، أو على المريضة، وبأن الكابوس وصل إلى أسوأ لحظاته عندما كان هو هناك، يراقبها، وبأن أفضل شيء هو أن يغادر على الفور مادام لا يوجد أى شيء يمكنه أن يفعله، وبأن الحديث معها عديم الجدوى، أنت أيتها البلهاء، أيتها البلهاء العزيزة، كُفِّى عن هذا، أرجوك، افتحى عينيك مرة وإلى الأبد وكُفِّى عن هذه الدعابة الغبية، ميتشا أيتها الحمقاء، أيتها الأخت الصغيرة، يا أختى الصغيرة، إلى متى ستظلين تضحكين علينا، أيتها المرأة المجنونة، انسى هذه التمثيلية اللعينة وعودى إلينا، عندى أشياء كثيرة أحكيها لك، يا ميتشا، ولأنك لا تستطعين أن تفهمى ما أقوله فسأروى لك كل شيء. كل شيء تم التفكير فيه بكل وضوح، خلال فورات الخوف، رغبةً فى التشبث بميتشا، لم تنطق كلمة واحدة بصوت مرتفع لأن المريضة أو السيدة لويزا لم تتركها ميتشا بمفردها، وهو، واقفاً هناك، بحاجة إلى أن يكلمها عن أشياء كثيرة للغاية، تماماً ربما كما كانت ميتشا تكلمه من جانبها، من وراء عينيْن مغمضتين وأصابع رسمت حروفاً عديمة الجدوى على الملاءات.

* * *

كان ذلك اليوم هو الخميس، ليس لأنهم كانوا يعرفون ما هو اليوم الذى كانوا يعيشون فيه أو حتى لأنهم يهتمون بذلك، لكن المريضة كانت قد ذكرت ذلك بينما كانوا يشربون القهوة فى المطبخ؛ وتذكر

السيد بوتو أنه ستكون هناك نشرة أخبار خاصة، كما تذكرت السيدة لويزا أن أختها كانت قد اتصلت تليفونيا من "روزاريو" لتقول إنها ستأتى من هناك يوم الخميس أو الجمعة. ولا بد أن امتحانات لاورو قد بدأت، فقد غادر البيت فى الساعة الثامنة دون أن يقول إلى اللقاء، تاركا رسالة قصيرة فى حجرة المعيشة، لم يكن متأكدا ما إذا كان سيعود للغداء، لكن لا ينبغي أن ينتظروه، على سبيل الاحتياط. ولم يأت للغداء؛ ونجحت الممرضة فى إقناع السيدة لويزا بأن تذهب إلى الفراش مبكرا هذه المرة فقط؛ وكان السيد بوتو يُطلّ وقد أخرج رأسه من نافذة حجرة المعيشة بعد برنامج المسابقات؛ وكان بوسع المرء أن يسمع المدفع الرشاش يصب وابلا من الطلقات دفعة واحدة من مكان ما قرب "بلاثا إيرلاندا"؛ وفجأة ساد هدوء، هدوء أكثر مما ينبغي تقريبا، ولا حتى سيارة شرطة؛ من الأفضل الذهاب للنوم؛ تلك المرأة التى أجابت على كافة الأسئلة فى البرنامج كانت ساحرة، كانت تعرف تاريخها القديم معرفة تامة، تقريبا وكأنها كانت تعيش فى أيام يوليوس قيصر، ورغم كل شيء، يمكن للثقافة أن تجعلك أغنى من سمسار. ولم يعرف أحد أن الباب لن يُفتح على الإطلاق طوال الليل. وأن لاورو لن يعود إلى حجرته؛ وفى الصباح ظنوا أنه كان لا يزال نائما بعد امتحان أو أنه كان مستيقظا يستذكر قبل الإفطار؛ فقط فى حوالى الساعة العاشرة أدركوا أنه لم يكن هناك. "لا تقلقى"، قال السيد بوتو، "من المؤكد أنه سهر إلى وقت متأخر احتفالا بشيء ما مع أصدقائه". بالنسبة للسيدة لويزا، كان قد حان

الوقت الذى تساعد فيه الممرضة على تحميم ميتشا وتغيير ملابسها. الماء الدافئ وماء الكولونيا، القطن الطبى والملاءات. كان الوقت منتصف النهار ولاورو لم يظهر بعد، "لكن هذا غريب، يا إدواردو، إنه حتى لم يتصل تليفونيا، وهو لم يفعل هذا قط، وفى المرة التى بقى فيها فى الخارج فى حفل نهاية الفصل الدراسى اتصل تليفونيا فى التاسعة، تذكروا، كان خائفاً من أن نقلق عليه، ورغم هذا كان أصغر فى ذلك الحين". "الولد متحمس لامتحاناته"، قال السيد بوتو. "سترون، سيكون هنا فى غضون أية دقيقة من الآن؛ إنه يكون هنا دائماً من أجل نشرة أخبار الساعة الواحدة". ولكن لاورو لم يكن هناك فى الساعة الواحدة، وفاتته إذاعة الرياضة وكذلك النبأ الهام حول هجوم إرهابى آخر تمت الحيلولة دونه لحسن الحظ بفضل التحرك السريع للشرطة، لا شيء جديد، درجة الحرارة تنخفض ببطء، والأمطار متوقعة على جبال الأنديز.

كانت الساعة بعد السابعة مساءً عندما جاءت الممرضة لتأخذ السيدة لويزا، التى كانت لاتزال تتصل تليفونيا بأشخاص يعرفونهم؛ وكان السيد بوتو يتوقع مكالمة من صديق فى الشرطة، لمعرفة ما إذا كان قد أمكنه اكتشاف أى شيء؛ وكان يطلب كل دقيقتين من السيدة لويزا أن تترك الخط غير مشغول ولكنها كانت تقلب بسرعة فى دفتر العناوين بحثاً عن اسم آخر أيضاً، ربما كان لاورو قد بقى فى بيت العم فرناندو، أو عاد إلى الجامعة من أجل امتحان آخر. "من فضلك أوقفى التليفون"، طلب السيد بوتو مرة أخرى، "ألا تدركين أن الولد

ربما كان يتصل بنا فى هذه اللحظة وهو مشغول دائما، كيف يمكنه أن يتكلم من تليفون عمومى؟ فعندما تكون هذه التليفونات غير معطلة يكون عليك أن تدعى الآخرين الذين ينتظرون يأخذون أدوارهم".

أصرت الممرضة ولهذا ذهبت السيدة لويزا لترى ميتشا، كانت قد بدأت تحرك رأسها فجأة، وكانت من حين لآخر تديره على مهل إلى جانب ثم إلى الآخر، وكان عليهما إبعاد شعرها عن وجهها، فقد انسدل على جبينها فيما كانت تستدير. وكان ينبغي أن يخبروا الدكتور رايموندى فى الحال؛ ومن الصعب الوصول إليه فى المساء، لكن زوجته اتصلت تليفونيا فى التاسعة لتقول إنه سيكون هناك بعد قليل. "إنه سيجد صعوبة فى الوصول إلى هنا"، قالت الممرضة، عائدة من الصيدلية بعلة مصل. "لقد أغلقوا الحى بأكمله، ولا أحد يعرف السبب، فقط اصغوا إلى صفارة الإنذار تلك". وهى تتراجع مبتعدة عن ميتشا، التى ظلت تحرك رأسها وكأنما بإنكار بطيء عنيد، صرخت السيدة لويزا تستنجد بالسيد بوتو، لا، لا أحد يعرف أى شيء، من المؤكد أن الولد لم يكن بإمكانه أن يصل إلى هنا أيضا، لكن رايموندى سيكون بإمكانه أن يصل إلى هنا بفضل الشارة التى تميزه كطبيب.

"ليس الأمر كذلك، يا إدواردو، ليس الأمر كذلك، أنا متأكدة من أن شيئا ما حدث له، لا يمكن أن يصل الأمر إلى حد أنه ليست لدينا أية أخبار إلى الآن، لاورو دائما..."

"انظرى، يا لويزا"، قال السيد بوتو. "انظرى كيف تحرك يدها.

وذراعها، هذه هي المرة الأولى التي حركت فيها ذراعها، يا لويزا.
ربما..."

لكن الأمر أسوأ مما كان من قبل، يا إدواردو، ألا ترى، إنها لا تزال تتعرض لتلك الهلاوس، ويبدو وكأنها تدافع عن نفسها ضدّ لا أدري ماذا... افعل شيئا ما، يا روزا، لا تتركوها هكذا؛ سأذهب لأطلب آل روميرو، وربما كانوا يعرفون، فقد اعتادت ابنتهم أن تدرس مع لاورو. أرجوك، أعطيها حقنة، يا روزا، سأعود. أو من الأفضل أيضا، أن تتصل بهم أنت، يا إدواردو، اسألهم، اذهب الآن".

في حجرة المعيشة بدأ السيد بوتو يتصل برقم تليفون معين، ثم توقف، وأقفل خط التليفون. ماذا لو أن لاورو في تلك اللحظة... ماذا يمكن لآل روميرو أن يعرفوا عن لاورو، من الأفضل أن ننتظر قليلا. ولم يصل رايموندى، لابد أنهم أوقفوه عند الناصية، ومن المحتمل أنه كان هناك، يقدم تفسيرات. ولم تستطع روزا أن تعطى ميتشا حقنة أخرى، كان العقار قويا للغاية، ومن الأفضل انتظار مجئ الدكتور. وفيما كانت تنحنى على ميتشا، وتبعد الشعر الذى غطى عينيها العديمتى الجدوى، أحسّت السيدة لويزا بإعياء، وبالكاد وجدت روزا وقتا كافيا لتأتى لها بكرسى ولتساعدها على الجلوس مثل حمل ثقيل جامد. وارتفعت صفارة الإنذار أعلى من ذى قبل، آتية من ناحية "جاؤونا"، عندما فتحت ميتشا فجأة عينيها، تغطيها الغشاوة التى تكونت على مرّ الأسابيع، وثبّتتاهما على نقطة على السقف، ثم تركتهما تنتقلان ببطء إلى أن التقتا بوجه السيدة لويزا، السيدة لويزا

التي تصرخ، تقبض بيديها بشدة على صدرها وتصرخ. وجاهدت روزا لتأخذها بعيدا، وهي تنادى بيأس على السيد بوتو الذي أتى ووقف بلا حراك عند قدم الفراش، يحملق في ميتشا، وعيناه مثبتتان على عيني ميتشا وهما تنتقلان بالتدريج من السيدة لويزا إلى السيد بوتو، من الممرضة إلى السقف، ويذا ميتشا تصعدان بنعومة إلى خصرها، تزحفان إلى أعلى لتلتقيا عند صدرها، وبدنها يهتز متشنجا لأن أذنيها ربما كان يمكنهما الآن سماع صفارات الإنذار المتزايدة، والطرق على الباب والذي جعل البيت كله يرتجف، والصيحات الأمرة، وطققة كسر الخشب، ثم زخة المدفع الرشاش، وصرخات السيدة لويزا، وترنح سيل الأبدان التي اندفعت داخلة، كل شيء وكأنما تم توقيته على إفاقة ميتشا، كل شيء على الجدول في سبيل أن ينتهى الكابوس وأن تعود ميتشا إلى الواقع في نهاية المطاف، إلى جمال الحياة.

لَا تَلْمُ أَحَدًا

خوليو كورتاشار

دائماً يُعقّد الطقس البارد الأمور بعض الشيء، ففي الصيف تكون قريباً جداً من العالم، الجلد لصق الجلد، أما الآن في الساعة السادسة والنصف فإن زوجته تنتظره في محل تجارى لاختيار هدية زفاف، الوقت متأخراً جداً وهو يدرك أن الجو بارد، عليك أن تلبس البلوفر الصوف الأزرق، أو أى شيء يتناسب مع البذلة الرمادية، فالخريف ليس سوى لبس وخلع البلوفرات، وحبس النفس بداخلها، وتحاشى الاختلاط بالغير. ودون أن يشعر فعلاً برغبة في ذلك، يصفى لحن تانجو فيما يتحرك مبتعداً عن الشباك المفتوح، ويفتش عن البلور في الدولاب ويبدأ في لبسه أمام المرأة. وهذا ليس سهلاً، ربما بسبب القميص الذى يلتصق بصوف البلوفر، ويجد متاعب في إدخال ذراعه من خلال الفتحة، وشيئاً فشيئاً تزحف يده إلى أن يظهر أخيراً

إصبع من طرف الكمّ الصوف الأزرق، غير أن الإصبع يبدو فى ضوء المساء مجعدا وملتويا إلى الداخل، مثل ظفر أسود بطرف حاد. وبحركة واحدة سريعة ينتزع ذراعه من الكمّ ويحملق فى يده وكأنها ليست يده هو، لكنه الآن وقد صارت اليد خارج البلوفر يرى أنها نفس يده كما كانت دائما ويدعها تسقط فى نهاية ذراعه المجهد. ويخطر بباله أنه ربما كان من الأفضل أن يبدأ بوضع الذراع الآخر فى الكمّ الآخر، لمجرد أن يرى ما إذا كان الأمر سيصبح أسهل بتلك الطريقة. ولا يبدو أن الأمر كذلك، لأنه بمجرد أن يلتصق صوف البلوفر بقماش القميص فإن عدم الاعتياد على البداية بالكمّ الآخر يجعل العملية أصعب مرتين، ومع ذلك بدأ يصفر مرة أخرى ليظل عقله منشغلا، ويحسّ بأن يده لا تكاد تتقدم وبأنه لن ينجح بدون مزيد من المناورة فى أن يجعلها تصل إلى فتحة الخروج. إذن من الأفضل أن يحاول كل شيء دفعة واحدة، أن يُحنى رأسه ليضعه فى ارتفاع رقبة البلوفر فيما يقوم بإدخال الذراع الحر فى الكمّ الآخر، مُعدّلا وضعه، ويشدّ بقوة فى نفس الوقت كلا الكمّين والياقة. وفى الظلام الأزرق المفاجئ الذى يلفّ به يبدو من العبث أن يواصل التصفير، ويبدأ فى الإحساس بشيء أشبه بالحرارة على خديه مع أن جانباً على الأقل من وجهه لا بد أنه بالخارج، لكن الجبهة تظل مغطاة وكذلك يظل وجهه بأكمله مغطى واليدان بالكاد فى منتصف المسافة داخل الكمّين. ومهما شدّ بقوة فلا شيء يخرج من الفتحة، ويخطر بباله الآن، بنفس ذلك النوع من الغضب المتهمك الذى بدأ به

المهمة بأكملها من جديد، أنه ربما ارتكب خطأ وأقحم رأسه بغباء فى أحد الكمّين ويدا واحدة فى ياقة البلوفر. وإذا كان ذلك كذلك، ينبغى إذن أن تخرج يده بسهولة، لكنه لا ينجح فى دفع أى من اليدين إلى الأمام رغم أنه يشدّ بكل قوته، غير أنه يبدو الآن أن رأسه على وشك الظهور لأن الصوف الأزرق يشدّ بعضه بعضا بقوة مزعجة تقريبا أمام أنفه وفمه، ويخنقه أكثر مما كان يمكنه أن يتخيل، فيجبره على أن يتنفس بعمق فيما يبتلّ الصوف أمام فمه، ومن المحتمل أنه سيسيل ويصبغ وجهه بالأزرق. ولحسن الحظ، فى نفس تلك اللحظة تخرج يده اليمنى من الفتحة إلى الخارج البارد، هناك إذن على الأقل خارج حتى وإن كانت اليد الأخرى ماتزال محبوسة داخل الكمّ، وربما كان صحيحا أن يده اليمنى كانت داخل ياقة البلوفر، وهذا هو السبب فى أن ما ظن أنه الياقة يضغط بمنتهى الشدة على وجهه، فيخنقه أكثر فأكثر، واستطاعت اليد بدلا من ذلك أن تخرج بسهولة. وعلى كل حال، من المؤكد أن كل ما يمكنه أن يفعل هو أن يستمر فى حشر نفسه فيه، بينما يأخذ نفساً عميقاً ثم يُخرجه قليلا قليلا، ومع ذلك فهذا غباء لأنه لا شيء يمنعه من أخذ النفس عميقا للغاية سوى واقع أن الهواء الذى يعبّه مختلط بزغب من ياقة أو كمّ البلوفر، وهناك أيضا مذاق البلوفر، مذاق الصوف الأزرق ذلك الذى يُحتمل أنه يصبغ وجهه الآن إلى حدّ أن تمتزج رطوبة تنفسه بالصوف بصورة متزايدة، ورغم أنه لا يمكن أن يرى، لأنه إذا فتح عينيه فإن رموشه ترمش بصورة مؤله أمام البلوفر، وهو واثق من أن الزرقاة

تلتف حول فمه المبتل، إلى داخل منخريه، فوق خديّه، ويملاؤه كل هذا بالقلق ويتمنى أن يستطيع مرة واحدة وإلى الأبد أن يلبس البلوفر، دون أن يأخذ في اعتباره حتى واقع أن الوقت لابد قد تأخر وأن زوجته لابد أن صبرها قد أخذ ينفد خارج المحل التجارى. ويقول لنفسه إن أعقل شيء يفعله هو أن يُركز على يده اليمنى، لأن تلك اليد خارج البلوفر تلامس الجو البارد للحجرة، إنها أشبه بعلامة تخبره أن المسافة لم تعد طويلة، ويمكنها أن تساعد، ويمكنها أن تتسلق ظهره إلى أن تصل إلى وسط البلوفر بتلك الحركة الكلاسيكية التي تساعد المرء على أن يلبس أى نوع من البلوفرات عن طريق الجذب بقوة إلى أسفل، ولسوء الحظ فرغم اليد التي تُحسّس على الظهر باحثّة عن الحافة الصوفية يبدو أن البلوفر التلف تماما حول الياقة والشئ الوحيد الذى يمكن أن تجده اليد هو القميص، الذى يزداد تجعداً، بل حتى يتدلى جزء منه خارج البنطلون، ويغدو لا فائدة من أن يحرك اليد إلى الأمام لأنه يستطيع أن يحسّ على صدره بالقميص، ولابد أن البلوفر قد مرّر الكتفين بالكاد ومن المحتمل أن يكون هناك، متكوراً مشدوداً وكأن كتفيه أعرض من أن يتسع لهما هذا البلوفر، الأمر الذى يُثبت حقا أنه ارتكب خطأ بالفعل وأنه وضع يداً فى الياقة والأخرى فى أحد الكمّين، بحيث تكون المسافة من الياقة إلى أحد الكمّين مساوية بالضبط لنصف المسافة من أحد الكمّين إلى الآخر، وذلك يفسّر كَوْنَ رأسه مائلاً قليلاً إلى اليسار، من ناحية اليد التى لا تزال محبوسة فى الكمّ، إن كان هو الكمّ حقا،

وكذلك كَوْنُ يده اليمنى التى بالخارج يمكنها بدلا من ذلك أن تتحرك بحرية فى الهواء، رغم أنها لم تنجح فى أن تجذب البلوفر المتكور فى أعلى جسمه إلى أسفل. وبصورة ساخرة يخطر بباله أنه لو كان هناك كرسي قريب لكان بإمكانه أن يستريح وأن يتنفس بسهولة أكثر إلى أن ينجح فى أن يلبس البلوفر بأكمله، غير أنه فقد إحساسه بالاتجاه بعد أن دار فى دوائر مرات كثيرة جدا بذلك النوع من التمارين الرياضية المرحية التى تبدأ أى لبس لأى قطعة من الملابس والتى تشبه خطوة رقص مختلصة، لا عيب فيها فى نظر أى شخص لأنها تنبع من حاجة نفعية وليس من ميول كوربيوجرافية آثمة. وعلى كل حال سيكون الحل الواقعى هو أن يخلع البلوفر، نظرا لأنه عجز عن أن يلبسه، وأن يتأكد من الفتحة الصحيحة لكل يد فى الكمّين، وللرأس فى الياقة، غير أن اليد اليمنى تظل تذهب وتجى بطريقة عشوائية، وكأن من السخف الانسحاب عند هذه النقطة، وذات مرة تذهب إلى حدّ أن تطيع فتتسلق إلى قمة الرأس وتشدّ إلى أعلى، دون أن يفهم هو فى الوقت المناسب أن البلوفر قد التصق بوجهه، لأن البلبل اللزج لتنفسه امتزج بزرقة الصوف، وعندما تجذب اليد إلى أعلى فإنها تؤلم وكأن هناك شيئا يشق أذنيه ويريد أن ينتزع رموشه. ثم ببطء أكثر: حاول استعمال اليد التى بداخل الكمّ الأيسر، إذا كان هو الكمّ حقا وليس الياقة، وللقيام بهذا، ساعد اليد اليسرى باليد اليمنى بحيث يكون بإمكان اليد اليسرى إما أن تذهب أعماق داخل الكمّ أو أن تنسحب وتخلّص نفسها، ومع ذلك فمن المستحيل

تقريباً تنسيق حركات اليدين، وكأن اليد اليسرى فأر محبوس فى قفص ومن الخارج يحاول فأر آخر أن يساعده على الهرب، إلا إذا كان بدلاً من المساعدة يعُضُّه، لأن اليد السجينة تؤله فجأة وفى الوقت ذاته تقبض اليد الأخرى بقوة على ما لا بد أن يكون يده، يده التى تُؤلم، تؤله بشدة إلى حدّ أنه يتخلى عن محاولة خلع البلوفر، ويفضّل أن يقوم بمحاولة واحدة أخيرة ليدفع رأسه إلى خارج الياقة، وليدفع الفأر الأيسر إلى خارج قفصه، ويحاول عن طريق الكفاح بكل جسمه، مائلاً إلى الأمام ثم إلى الخلف، دائراً حول نفسه فى دوائر وسط الحجرة، إذا كان فى وسط الحجرة حقاً، لأنه يعتقد الآن أن الشباك ترك مفتوحاً وأن من الخطر أن يظل يدور حول نفسه فى دوائر معصوب العينين، فمن الأفضل أن يتوقف رغم أن يده اليمنى تذهب وتجيء دون أن تُعير انتباهها للبلوفر، رغم أن يده اليسرى تؤلم أكثر فأكثر، وكأن أصابعه عُضَّتْ أو أحرقت، ومع ذلك تطيعه تلك اليد، مقلصة الأصابع الممزقة قليلاً قليلاً، وينجح فى أن يقبض من وراء الكمّ على وسط البلوفر المتكور على الكتف، وهو يشدّ إلى أسفل بالقوة التى يكاد لم يبق له منها شيء، إنها تؤله للغاية وسيحتاج إلى مساعدة اليد اليمنى، بدلاً من التسلق غير المجدى إلى أعلى وأسفل رجليه، بدلاً من قرص فخذه كما تفعل الآن، حيث تخربشه أو تقرصه من وراء ملابسه دون أن يكون قادراً على منعها، لأن كل قوة إرادته محصورة فى يده اليسرى، وربما كان قد سقط على ركبتيه، وهو يحسّ الآن وكأنه معلق من يده اليسرى التى تشدّ البلوفر مرة

أخرى ويحسّ فجأة ببرودة على حاجبيه وجبهته، وعلى عينيه، وبصورة عبثية لا يريد أن يفتح عينيه غير أنه يعرف أنه بالخارج، فتلك المادة الباردة، تلك المادة المبهجة هي الهواء الطلق، وهو لا يريد أن يفتح عينيه ويانتظر ثانية واحدة، ثانيتين، ويسمح لنفسه بأن يعيش في زمن بارد ومختلف، الزمن خارج البلوثر، وهو الآن على ركبتيه وجميل أن يكون المرء كذلك، إلى أن يفتح عينيه قليلاً قليلاً شاكراً متخلصاً من خيوط العنكبوت الزرقاء من الصوف بالداخل، يفتح عينيه باحتراس ويرى أطافر الأصابع الخمسة تتأرجح فوق عينيه، وكان لديه بالكاد الوقت الكافي لأن يسقط جفنيه، ولأن يردّ نفسه إلى الوراء، مُغطّياً نفسه باليد اليسرى التي هي يده، كانت تلك كل ما بقى للدفاع عنه من داخل الكمّ، لشدّ ياقة البلوثر إلى أعلى، وتُنسجُ خيوط العنكبوت الزرقاء حول وجهه من جديد، فيما ينشط نفسه ليهرب إلى مكان آخر، ليصل أخيراً إلى مكان بدون اليد، بدون البلوثر، مكان ليس فيه سوى الجو العطر يطوّقه ويصحبه ويلطفه اثني عشر طابقاً إلى أسفل.

الساحر السابق من مطعم مينيوتا

موريلو روبياون (البرازيل)

أمل يا ربُّ أُنْثُكَ. استجب لي.

لأنني مسكين ويائس أنا.

سفر المزامير - ٨٦ : ١

أعمل في الوقت الحالى موظفا حكوميا، وليس هذا أسوأ مصائبي.

وحتى أكون أمينا، لم أكن مستعدا للمعاناة. إن كل إنسان، عندما يصل إلى عمر بعينه، يكون مهياً تماماً لمواجهة سيل من الضجر والمرارة، ما دام قد اعتاد منذ طفولته على تقلبات الحياة اليومية عبر عملية تدريجية من الاضطراب المتواصل.

لم يحدث هذا لي. لقد قذف بي إلى الوجود بدون أبوين، بدون طفولة أو مراهقة.

وجدت نفسى ذات يوم، بشعر أشيب خفيف، فى مرآة مطعم مينيوتا، ولم يفزعنى هذا الاكتشاف أبداً، بقدر ما أدهشنى أننى أخرجت صاحب المطعم من جيبى. أما هو فقد سألنى، متحيراً إلى حدّ ما، كيف أمكننى أن أفعل شيئاً كهذا.

بماذا كان يمكننى أن أجيب، وأنا فى وضعى هذا، كشخص لا يملك أدنى تفسير لوجوده فى هذا العالم؟ أخبرته أننى متعب، أننى مولود متعباً وضجراً.

ودون أن يفكر ملياً فى إجابتى أو يسألنى أكثر، قدم إلىّ عرض عمل، وهكذا بدأت، منذ ذلك الوقت فصاعداً، فى تسليّة عملاء تلك المنشأة بنشاطى السحرى.

غير أن الرجل ذاته فاته إدراك أهمية اعتيادى أن أقدم للمشاهدين تشكيلة من وجبات الغداء المجانية التى كنت أنتزعها بطريقة خفية من داخل جاكيتى. ولأنه ارتأى أن أفضل الصفقات لا تتمثل فى مجرد زيادة عدد الزبائن - بدون نمو مقابل فى الأرباح - فقد قدّمنى لمدير حديقة السيرك الأندلسى، الذى عرض أن يستأجرنى عندما حدثه عن قدراتى. غير أنه نصحه أولاً بأن يتخذ بعض التدابير الاحتياطية ضد حيلى، لأن من المحتمل أن أقرر على الفور توزيع تصاريح لدخول العروض.

وعلى النقيض من التوقعات المتشائمة لصاحب عملى الأول، كان سلوكى نموذجياً. ولم تقم التزاماتى العامة بإثارة الجماهير فقط، بل عادت على أصحاب الشركة بأرباح خيالية أيضاً.

وبصفة عامة، استقبلنى الجمهور بشيء من الفتور، ربما لأننى أجمت عن تقديم نفسى مرتديا بدلة فراك وقبعة رسمية. لكن بمجرد أن بدأت لا إراديا فى إخراج أرائب، وثعابين، وسحالى، من قبعة، ارتعش المشاهدون من فرط الإثارة، وخاصة فى النمرة الأخيرة حيث أجعل تمساحا أمريكيا يظهر من بين رؤوس أصابعى. ثم، بالضغط على ذلك الحيوان من كلا الطرفين، قمتُ بتحويله إلى أكورديون وأنهيت الفصل بعزف النشيد الوطنى للدجاج الصينى. وينفجر التصفيق من كل ناحية، تحت نظرتى المحدثّة من بعيد.

وكان مدير السيرك، الذى راح يراقبنى من بعيد، مستفزاً من عدم اكتراثى بتهليل الجمهور، خاصة عندما كان يأتى من الأطفال الصغار الذين كانوا يحضرون ليصفقوا لى فى الحفلات الصباحية أيام الأحد. فلماذا تهتز مشاعرى، مع ذلك، إذا كانت هذه الوجوه البريئة، التى قدر عليها أن تعاني العذاب الذى يصيب أى إنسان يبلغ سن الرشد، لم تحرك بداخلى أى شفقة، ولا أى غضب من باب أولى، إزاء امتلاكهم لكل شيء تلهفت عليه لكن لم أمتلكه: الميلاد، وماضٍ يخصنى.

وعندما صرتُ أكثر شعبية، أصبحت حياتى لا تطاق. وفى بعض الأحيان، وأنا جالس فى مقهى ما، أراقب عامة الناس بعناد وهم يسировون عابرين صفوفاً على الأرصفة، كان الأمر ينتهى بى إلى أن أخرج من جيبى حماما، ونوارس، وظرابين. وكان الناس من حولى يتصورون أن سلوكى مقصود فينفجرون دائما فى

ضحكات صاخبة مدوية. فكنت أحرق فى الأرض مغتماً، وأغمغم ضد العالم والطيور.

وكلما حدث أن فتحت يديّ، شارد الذهن، كانت تنسلّ منهما أشياء غريبة. وفى إحدى المناسبات أدهشت نفسى بسحب شكل غريب بعد شكل غريب آخر من كمىّ. وفى النهاية كنت محاطا تماما بأشكال غريبة، دون أدنى فكرة عن أى هدف أعزوه إليها.

ماذا كان بإمكانى أن أفعل؟ نظرت فى كل اتجاه حولى، وكانت عيناي تلتسمان نوعا من العون، عبثاً، وكان وضعاً معذباً للغاية. ودائماً تقريبا، كنتُ إن أخرجت منديلى لأتمخط أدهشتُ أولئك الذين بجوارى بسحب ملاءة سرير بكاملها من جيبى. وإن تململت ضجرا بياقة معطفى، ظهر صقر ضخّم فى الحال. وفى مناسبات أخرى، فيما كنت أحاول ربط رباط حذائى، أخذت الشعابن تنزلق خارجة من بنطلونى. النساء والأطفال أجفلوا يصرخون. الحراس أتوا مهرولين من بعيد، المتفرجون تراحموا حولى، فضيحة. وكان لا مناص من اقتيادى إلى مقر الشرطة للمثول أمامها وأصغيت بصبر فيما كانت السلطات تحظر على القيام مرة أخرى بإطلاق ثعابين فى الطرق العامة.

لم أبد أى اعتراض. وبجبن، ذكرت متذللاً صفتى كساحر، وأكدت نيتى على ألا أضايق أحداً.

وصرت معتاداً ، ليلاً، على الاستيقاظ فجأة فى منتصف نوم عميق ، على طائر مرتفع الصوت يرفرف بجناحيه وهو يطير خارجاً

من أذى .

وفى إحدى هذه المناسبات، وقد استولى على الغضب تماما،
عاقدا العزم على ألا أمارس السحر مرة أخرى أبدا، قمت بقطع
يديّ. عبثا. فبمجرد أن تحركتُ، ظهرت اليدان من جديد، ناضرتين
كاملتين، على الطرف المبتور من كل ذراع!

وكان علىّ أن أبدد يأسى بطريقة ما، وبعد أن أطلت التفكير فى
الموضوع بعناية، انتهيت إلى أن الموت وحده سيضع نهاية مناسبة لمحتى.
وعاقدا العزم على تنفيذ قرارى، أخرجت دزينة من الأسود من
جيوبى، وانتظرت مكتوف اليدين اللحظة التى ستقوم فيها الأسود
بالتهاوى. لكنها لم تلحق بى أذى. ومحيطه بى، شمت الأسود
ملابسى، ثم وهى تراقب المشهد انسلت خلسة.
وفى الصباح التالى عادت الأسود من جديد وربضت بطريقة
استفزازية أمامى.

"ماذا تتوقعين منى، أيتها الحيوانات الغبية؟" زأرتُ باستياء.
هزت الأسود لِبَدَها بحزن وناشدتنى أن أجعلها تختفى.
"هذا العالم ممل بصورة مفزعة"، أعلنت الأسود.

فشلت فى كبح جماح غضبى العارم. ذبحتها جميعا، وبدأت أنا
نفسى فى التهامها. وراودتنى آمال فى أن أموت ضحية عسر هضم
قاتل.

مصيبة المصائب! عانيت مغصا هائلا فى المعدة، وبقيت على قيد
الحياة.

ولم يؤد هذا الفشل إلا إلى مضاعفة إحساسى بخيبة الأمل. تركت ورائى تخوم المدينة ورحلت باحثا عن الجبال. وعندما وصلت إلى أعلى قمة، وكانت تطل على الهوة المظلمة، تركتُ جسمى للفضاء. لم أحسّ بأكثر من إحساس طفيف باقتراب الموت - ودفعة واحدة تقريبا وجدت نفسى متديلا من باراشوت. وبصعوبة، وأنا أرتطم بعنف بالصخور، مشوِّها وملطخا، عدت أخيرا إلى المدينة، حيث كانت الخطوة الأولى التى قمت بها هى الحصول على مسدس. فى البيت من جديد وراقدا على فراشى، رفعت السلاح إلى أذنى. وضغطت على الزناد، متوقعا انفجارا مدويا وألم الرصاصة وهى تشق طريقها داخل رأسى.

لم تكن هناك طلقة، ولا موت: تحول السلاح النارى الصغير إلى قلم رصاص.

تدحرجتُ على الأرض، منتحبا. أنا الذى كنت أستطيع أن أخلق كائنات أخرى لم أملك وسيلة لتخليص نفسى من الوجود.

تعبير سمعته بالمصادفة، وأنا فى الشارع ذات يوم، منحنى أملا جديدا فى قطع صلتى بالحياة بصفة نهائية. فقد سمعت من رجل حزين أن العمل موظفا حكوميا يعنى الانتحار بالتدريج.

ولم أكن فى وضع يسمح لى بأن أقرر ما هو شكل الانتحار الذى يناسبنى على أفضل صورة: البطيء أو السريع. ونتيجة لذلك، عملت بوظيفة بحكومة الولاية.

سنة ١٩٣٠، سنة مريرة، أطول من تلك السنوات التى أعقبت

التجلى الأول الذى عرفته لوجودى، هناك فى مرآة مطعم مينيوتا.
لم أمت، كما كنت أمل. وكلما عظمت بلاياى، كانت تعظم محنتى.
وحينما كنت ساحرا، كانت صلتى بالناس ضئيلة للغاية - كانت
خشبة المسرح تحتفظ بى على مسافة كافية منهم. والآن وقد
أصبحت مجبرا على أن أكون على اتصال مستمر مع أمثالى من
الكائنات البشرية، كان من الضرورى أن أفهمهم، وأن أخفى
الكراهية التى يثيرونها فى نفسى.

ولأن مهام وظيفتى كانت تافهة، كان أسوأ ما فى الأمر هو أننى
وجدت نفسى فى وضع يضطرنى إلى أن أتسكع بلا هدف ساعات
متواصلة بلا توقف. وأدى الفراغ إلى استيائى من افتقارى إلى
ماضٍ يخصنى. فلماذا كنت وحدى، بين كل أولئك الذين يعيشون
أمام عينيّ، من لم يكن لديه شىء يتذكره؟ كانت أيامى تطفو فى
فوضى، مختلطة بقليل من الذكريات التافهة، المقدار الإيجابى
الصغير المتمثل فى ثلاث سنوات فى الوجود.

الحب، الذى جاعنى عن طريق موظفة حكومية معى، مكتبها
بالقرب من مكتبى، ألهانى لفترة عن همومى.
إلهاء لحظىّ. وسرعان ما عاد قلقي، وتصارعت مع شكوكى.
وكيف كان لى أن أتقدم لخطبة زميلتى هذه إذا كان لم يصدر منى
قط أى تصريح بالحب، ولا كانت لى تجربة حب واحدة وحيدة؟

سنة ١٩٣١ بدأت كئيبة، بتهديدات بتسريحات جماعية من العمل
وبرفض من جانب موظفة الآلة الكاتبة النظر فى طلبى ليدها. وأمّام

احتمال فصلى من الخدمة، حاولت أن أعتنى بمصالحى الخاصة.
(كانت الوظيفة لا تعينى تقريبا. كنت ببساطة خائفا من أن أترك
ورائى امرأة رفضتني، غير أن وجودها صار بالتدريج أمرا لا غنى
عنه بالنسبة لى.)

ذهبتُ إلى المشرف على القسم الذى نعمل فيه وأعلنت أنه لا يمكن
فصلى لأننى، بعد عشر سنوات فى الحكومة، أتمتع الآن بضمان
العمل.

أخذ يحملق فى وجهى بعض الوقت فى صمت تام. ثم قال،
عابسا فى وجهى، إنه مندهش لحديثى الساخر. فهو لم يكن ليتوقع
أبدا من شخص له سنة واحدة فقط فى الخدمة أن يملك الجرأة على
أن يدعى أن له عشر سنوات.

ولأثبت له أن موقفى لم يكن مستهترا، أخذت أفتش فى جيوبى
عن أية وثائق تؤيد صحة ادعائى. ومذهولا، نجحتُ فقط فى إخراج
قطعة ورق مجعدة، وكانت شذرة من قصيدة من إلهام صدر موظفة
الآلة الكاتبة.

وبقلق، قمت بتقليب كل جيوبى، لكننى لم أعثر على شىء آخر ..

..

كنت مجبرا على التسليم بالهزيمة. والحقيقة أننى كنت قد
أصبحت واثقا أكثر كثيرا مما ينبغى بقدراتى على عمل السحر، تلك
القدرات التى قضت عليها البيروقراطية.

والآن، مجردا من موهبة السحر الخارقة السابقة الذكر، غدوت

غير قادر على الاستغناء حتى عن أسوأ المهن البشرية. وينقصني حب زميلتي موظفة الآلة الكاتبة كما ينقصني وجود أصدقاء، الأمر الذى يرغمنى على التردد على الأماكن المهجورة. وفى كثير من الأحيان يفاجئنى الناس وأنا أحاول أن أنتزع، من داخل ملابسى بأصابعى، أشياء ضئيلة لا يلمحها أحد منهم على كل حال، مهما قاموا بالتحديق باهتمام.

وهم يظنون أننى مجنون، خاصة عندما أقذف إلى الهواء بتلك الأشياء الضئيلة جداً.

ويأتينى انطباع بأن عصفورا يوشك على أن يخلص نفسه من بين رؤوس أصابعى. وأتندد بصوت مرتفع، بعمق. وبالطبع لا يمنحنى الوهم أى راحة. إنه لا يقوم إلا بزيادة حدة أسفى على أننى لم أخلق عالماً سحرياً بالكامل.

وفى بعض اللحظات أتخيل كم سيكون رائعاً أن أنتزع مناديل حمراء، وزرقاء، وبيضاء، وخضراء، من جسمى، وأن أملأ الليل بالألعاب نارية، وأن أدير وجهى إلى السماء فأجعل قوس قزح يتدفق من بين شفتى، قوس قزح يغطى الأرض من أقصاها إلى أقصاها. ثم التصفيق من الرجال المسنين بشعرهم الأبيض، ومن الأطفال اللطفاء.

جنون

آرمونیا سومرز (آورو جواى)

عندما سقط لورنثو، وقد ثقبته كالغريال رصاصات اللامپنيو
(وكما سبق لك أن عرفت، كان لورنثو هو سكيّر ميركادو ببيخو
المقملّ الذي أصيب منذ فترة قصيرة بعدوى مرض الكلب من
اللانيودو، الكلب الصغير الذي كان يحرسه والذي كان هو ذاته
سكيّرا بنفس القدر)، مرّت الصورة النحاسية المفضّضة لأصيل
مونتفيديو المعدنى ذلك بأولّ تغيرٍ يعتريها. أوّلا: صناديق التعبئة،
التي هدّد لورنثو، الهارب، من داخلها، جلاديه بأظافره، ولُعابه،
وأسنانه، فقدتْ مَنْ كان يشغلها. وثانيا: لورنثو، الذي كان واقفا منذ
دقائق على قدميه يشنّ حربا عنيفة، سقط فى الحال بعد أن دار حول
نفسه من قوّة الرصاصات ووجّههُ إلى أعلى فوق فراش من الموز
العفن كانت تغطيه سحابة من الذباب المجنون بالحلاوة.

عائداً إلى النفاية مرة أخرى، وضع اللامپنيو سلاحه المرخص في مكانه المعتاد، ونظر إلى السائق، الذى كان لا يزال يفرك عينيه بسبب ما رآه لتوّه، وقال له: "إنها حالة دفاع مشروع لتفادى مزيد من الخطر. لقد سمعه الجميع وهو يصرخ بأنه سيعضنى إن لمسته، ولا أشعر بأى تأنيب ضمير بسبب إطلاق الرصاص عليه كما يُجيز القانون. بالتالى تتعلق المسألة بمهمة تم إنجازها، فلننتقل إلى موضوع آخر".

مهمة تم إنجازها... أدار السائق المحرك وقاد السيارة مندفعاً عارقاً الخوف فى الشارع القذر. ولارتباطهما معا بعملهما المشترك، كان قلباهما يدقان ببلادة متوافقين فى الأسس والمبادئ. "... أجل، الجنون، عليك أن تقمع الجنون لدى الآخرين لتنتقم لجنونك أنت".

"جنون الأجور المنخفضة والحياة المتضخمة".

"جنون الحب القليل والأطفال الكثيرين".

"جنون السفن الكثيرة دون رحلة واحدة".

"لكن، ما نوع جنون سكّير ميركادو".

"جنون يمكنه أن يُفجّر كل شيء دفعة واحدة".

"يمكنه أن ينفجر انفجاراً واحداً كبيراً بدلاً من أن يتلاشى شيئاً

فشيئاً فى دقات صغيرة، كما يتعين على جنونا أن...".

لكن، لحسن الحظ، لم تتجسّد كافة هذه الخواطر. ذلك أنها ظلت

مشتبكة فى شبكة خواطرهما، فى الإدراك العرضى للمشاهد التى

مرّاً بها، وللفرامل الغاضبة عند نواصى الشوارع، وللوحات الإعلانات التى تعلن عن المباراة الكبرى التالية لكرة القدم. كان لورنثو، وقد اتحد مع موزة وذبابه، هو الشيء الواقعى الوحيد، كان هو الشيء الوحيد المجسد. وكان واقعياً أيضاً ذلك الفزع الشديد الذى أحدثه اللانيودو، عندما ركض مسرعاً نحو الحشد مثل ساعى بريد مجنون، يحمل بريده القاتل بين أسنانه. وتشتت الحشد فى أنحاء المشهد. وحالما انعطف الساعى حول ناصية، عاد باعة ميركادو، وأولئك الذين يتوقفون لمشاهدة أىّ شيء يحرك الهواء أقلّ حركة، إلى عيشهم. سار الزمن متشامخاً لا يرحم، وكان على عبّيده أن يُديروا العجلة.

رقد لورنثو هناك ينتظر أن يجرى انتشاله مثل كلب ميت. وبدأ الجو حوله - والذى كان بنفس زُرقة عيني اللانيودو قبل أن تصبحا محققتين بالدم - يتلبّد.

"أنا أليخو، أتعرف؟ يا صديقى لورنثو..."

حوّل مرافق الرجل الميت عينيه عن الجثة ونظر إلى الولد الأشقر الصغير الخائف. وكان من الصعب طرده بعيداً وكأنه ذبابة أخرى. كان هذا أيضاً أكثر صلابة بكثير. كان له مركز ثقل حقيقى. وأربك وجوده الحارس. أحسّ الرجل الذى عُيّن لحراسة الميت إلى أن تأتى سيارة الإسعاف بأنه ليس هناك أىّ أساس مشترك ولا جسر واحد بينه وبين هذا الصبى الذى فى السابعة من عمره وذى الصوت الأبحّ والعينين الزرقاوين والذى شرع فى توجيه الأسئلة وتاه بعيداً فى

أجوبته هو.

"أنا أليخو"، كرّر قوله. "صديق لورنثو. ماما لم ترغب في أن..."

"بسبب القمل، صحيح؟"

"كان قد أبحر في سفن القراصنة..."

"لأنه اعتاد أن يسكر على الشراب الناري الأزرق المغلي مع الذرة

البيضاء، صحيح؟"

"وكان يمكنه أن يعزف الهارمونيك..."

"ولهذا فإن ابن الزنا الكسول هذا، لم يعمل قط، صحيح؟"

"كل الكلاب في الحيّ أحبته..."

فجأة، وربما بسبب ذلك الطباق اللحنى الغريب بين نغمتيّ الصوت، نغمة الجراءة على الحب، ونغمة المساومة، هاتين العقيدتين المختلفتين للغاية، بدا وكأن الشفة العليا للرجل الصريع ارتدت إلى الوراء في ابتسامة أخيرة، كاشفة عن أسنانه البيضاء بصورة لا تصدّق بين حافتين ضاربتين إلى لون الأرجوان. عندئذ، ولسبب ما لم يكن بوسعته تفسيره، تحرّك الرجل الذي يحرس الجثة فركلها باشمئزاز، مُحاولاً أن يغيّر التكتشيرة الجديدة الموحية بجمجمة. كما لم يكن بوسعته أن يفسّر لماذا كره لورنثو، الذي لم يفعل شيئاً أكثر من أن يموت بسبب اللانيودو المجهول. عندئذ، وكأني يخرج من امتداد لا نهاية له من القطوع الهندسية المتكافئة، سمع صوت أليخو: "وكانت له أسنان جميلة..."

بخصوص السنيوردی لاپینیا

الیسیو دییجو (کوبا)

- 1 -

برز القصر - المهجور منذ عشرين سنة - فوق جرف صخرى خارج القرية، حيث كانت الرياح تدور حوله ويطارد بعضها بعضها الآخر لتواصل ألعابها الوحشية، وحيث كان البحر يحطم قبضات لا تنتهى فى تدمير لا ينتهى.

انتهى العمال من ترميمه منذ شهر وبعد ذلك مباشرة وصلت حمولة عشرين سيارة شحن من الأثاث لحجراته العشرين، وكانت الممرات إلى كثير منها قد تهدمت وأصبحت بحاجة إلى ترميم. أخذ البواب، والطباخة، والبستاني، والخادمة، الذين استأجرهم المالك الجديد من قبل، يرقبون مجيئهم، مسندين ظهورهم إلى جدار رواق المدخل. تنهدت الطباخة: "لابد أنهم فوج من الجنود". أوماً

الآخرون برؤوسهم بأسى.

غير أنه فى نهاية الموكب لم يكن هناك سوى سيارة واحدة، ولم يكن بداخلها سوى السنيور الجديد دى لابينيا. قال البستاني بحسرة: "قد يكون هذا أسوأ".

وافقت الخادمة بحماس: "قد يكون، بلاشك".

- 2 -

"إنه ولد، مجرد طفل"، قالت الخادمة، وهى ترتب شعرها وتحاول أن ترى نفسها من الجانب فى زجاج دولاب الفضيات.

"طيب"، قال البستاني، وهو يضع البيريه المبتلّ بالعرق على منضدة المطبخ ويمسح جبهته بمنديل ضخم، أحمر وأصفر، "ولد بوجه رجل عجوز. من يتصور...". وأخذ يروى لهم كيف أصرّ على إخفاء زهریات الورد بين سعف النخيل. وأضاف بنظرة ذات معنى إلى الخادمة: "بالإضافة إلى ذلك، يمكنه أن يقف على قدميه بجهد جهيد".

"طبعاً"، أجابت الخادمة، غاضبة، "وماذا يفعل المسكين مع وجع الظهر الذى يعانى منه".

- 3 -

"إنه رجل متدين طيب"، أكد البواب، الذى كان أيضا الخادم الخصوصى للسنيور دى لابينيا. "مدفونا فى كتبه هنا، بتلك الملابس التى تبدو مثل ملابس كاهن، ودائما بعبارته تلك (هل تتفضل على...)، (أرجو أن تتعطف على...)، (أشكرك جدا جدا...)، بل

إنه رجاني أن أسامحه عندما دلّقتُ القهوة كلها عليه".
وضعتُ الطباخة يديها على شفّتيها: "ملابس كاهن! كان ينبغي
أن تراه عائداً من ركوب حصانه! قدرا جدا والبُوت مغطىً ب... إنه
متوحش، هذا رأيي. ثم طلب مني "شراباً"، واللغة القذرة التي
استعملها، كل هذا بلا سبب. إيه، حتى زوجي الميت لم...!".
"اهدئي، اهدئي"، قال البواب، وهو يعدّ بعض النقود المعدنية
شارد الذهن، "كلّ إنسان قد يمرّ بلحظة سيئة".

- 4 -

"رجل عجوز" قال البستاني، وهو يقرع المنضدة بقبضته. "أنا
أقول أنه رجل عجوز، ومن العار أن نتحدث عنه من وراء ظهره".
"استمعوا إليه"، صرخت الخادمة. "رجل عجوز! أنت تحلم! إذا
كنت تفكر بصوت عال وحسب، لابس، لكنّ أيّ شيء آخر...".
"حسن جداً"، قاطع البواب، في محاولة لإحلال السلام، "إنه
أصلع قليلاً وعنيد، لكنه ليس رجلاً عجوزاً في واقع الأمر. ولأنه
أشقر...".

"أصلع وأشقر؟ أسود، هندی!" قاطعتُ الخادمة وطلبت من
السماء أن تشهد. وكانوا على وشك اللجوء إلى القوة عندما قبض
البواب (الذي كان قد حصل على قسطه الضئيل من الاطلاع، والذي
هو باختصار مثقف) على ذراع الطباخة وهو يمتدّ مستعداً للقتال
وطالب بالهدوء.

"شيء غريب جداً"، قال. "من الواضح أننا نتكلم عن أربعة

أشخاص مختلفين: وإذا فكرنا في الأمر دقيقة واحدة نجد أننا نحن الأربعة رأيناه كلنا معا مرة واحدة فقط، عندما وصل، وكان ملفوفا تماما بالفرو بحيث يمكن حتى أن يكون دُبّا. وأتساءل ما إذا كان في هذا البيت ثلاثة دجالين؟ وأقترح أن نذهب نحن الأربعة ونراه فورا. إنه في حجرة مكتبه، تركته هناك منذ قليل".

غير أن الطباخة اقترحت أن يُرسلوا أولا إلى نسيبها، الشرطى القروى، ومن الأفضل أن يختلس إليه الخمسة النظر عبر نافذة حجرة المكتب.

- 5 -

كان السنيور دى لابينيا جالسا إلى مكتبه، غير أنه لم يكن يكتب. وكان يسند رأسه إلى المسند العالى لكرسيه، بلا حراك فى الوهج الثقيل لضوء الشمس. "أجل، هذا هو السنيور - إنه ولد"، قال البستانى ذاهلا.

غطت الخادمة وجهها بيديها: "إنك كنت على حق، إنه رجل عجوز بغيض".

تراجع البواب خطوة، وهو يرسم على نفسه إشارة الصليب، وهمس: "إنه شيطان دون أدنى شك".

حملت الطباخة بسعادة بالغة، ويدها معقودتان على مريلتها، فى السنيور دى لابينيا. عندئذ أمسك الشرطى بكمّها غاضبا، وقد بدت عليه أمارات نفاد الصبر. "إلام تنظرون؟ ليس هناك شيء على الإطلاق سوى كرسي خال".

الفراشة البيضاء

دالتون تريفيزان (البرازيل)

"هى منتهية تقريبا. فالرئة متعفنة تماما".
كان أوان إجراء عملية أو علاج بالكوبالت قد فات تماما.
"فلماذا لا تشتكى من ألم؟"
"ليس هناك أى ألم أو ارتفاع فى الحرارة".
ويتعذر عليها التنفس، والنافذة مفتوحة على مصراعيها.
"لم يبق لها سوى مزقة من الرئة".
وأنت تعاتبها لأنها تحب التدخين وتشعل - هى الأم المبتلاة -
سيجارة من أخرى؟ ودائما السعال، الذى يجبرها على النهوض
جالسة، ملتوية فوق فراشها.
"لا أستطيع أن أنام، يا ابنى. الجو خائق، هذه الغرفة لا هواء
فيها".

ويذهب الشاب إلى فراشه وهو يسمع السعلة الخفيفة التي
تكتمها فى وسادتها حتى لا تزعجه.
"هل هو مرض خطير، يا ابنى؟"
"أمى، ما هذا الكلام الفارغ."
"لماذا لم يعطنى الطبيب دواء ما؟ كل ما فعله هو أنه منع
السجائر!"

وكل أسبوع يطلب الابن رويشة جديدة من الطبيب. وبيعض
الفيتامينات، تقفز هى إلى خارج الفراش، وتطبخ الطبق المفضل
للابن، وتنزل إلى الشارع من أجل شلتين من الصوف الأزرق.
"متعبة جدا استندتُ إلى الحائط."
ورغم إدراكها كم يكلفها، هى الأرملة الفقيرة، أن تربيَ ابنين،
كانت مضطرة إلى أن تأخذ سيارة أجرة. أما الآن فهى لم تعد تخرج،
هادئة فى ركنها، وهى تلفّ خيطا على إصبع صغير مرتعش، وفمها
فاغر أمام النافذة.
"نفسُها مقطوع ويمكن أن تسقط من النافذة"، يحذر الطبيب "أو
تلقى بنفسها منها".

كل ليلة يعطيها الابن حقنة. وتغفو بالكاد وتشعر بالآلام شديدة
وتمزق قميص نومها فوق صدرها النحيل الضامر. وهى الممتلئة
الجسم بنعومة دوما، تسعل وتزداد نحولا؛ يرقص شبشبها القطيفة
على قدمها ودبلة زواجها على إصبعها.
"ماذا سيحدث لك؟ وعندما تكون سكران، من الذى سيمسك

جيبينك؟

"هذه الحقنة ستجعلك على ما يرام".

وفى الأيام الأخيرة تعنتى بها ممرضة شابة حلوة. وهى لم تفق بعد تماما، وحقنة أخرى لتخديرها: إنها لا تشكو من ألم، فقط ذلك التلطف على ابتلاع الهواء كله.

ويندفع الصبى نازلا على السلالم، ويدخل أول حانة. وعندما يعود يرى وجه أمه الشاحب، وفمها المصوص إلى الداخل خاليا من أسنانه، وتنفسها يفحّ قبيل الفجر. ونادرا ما تتكلم؛ وهى ترسم إشارة الصليب وتغطى وجهها بالملاءة.

"ليتها تصاب بسكتة قلبية"، تهمس الممرضة.

وصرخة فى منتصف الليل، ويستحم وجهه فى الدموع. مرة أخرى ذلك الحلم الذى يدخل فيه المصعد، ومهما ضغط على المفتاح بقوة، لا ينغلق الباب، وهو مسمّر فى قاع بئر المصعد - وهناك، فى الأعلى، سعال أمه، وهو لا يستطيع أن يساعدها.

وعلى جبينه الملتهب، ملاطفة الفتاة بحنان.

"نامى معى".

"حرارتك مرتفعة، ياچوان".

"أطلب منك معروفا. إنى أموت حزنا".

رغم أنها ترفض أن تستلقى، يأخذها على الواقف متكئة على الحائط. ثم تلك الراحة الكبرى، ويسقط نائما.

فى الثالثة صباحا تناديه الفتاة - الزبد الأسود يفور من أنف

المرأة المحتضرة. يا أمي المسكينة: أكثر تعباً من أن تسعل، العينان
مفتوحتان دون أن تريا، التشنجات التي تهزّ الفراش.
أنين خافت، ابتسامة، سكون تام.
"انظر يا جوان".
ومن خلال النافذة تطير فراشة كبيرة بيضاء.

أضال امرأة فى العالم

كلارىس لىسپكتور (البرازيل)

فى أعماق أفريقيا الاستوائية، عثر الرحالة الفرنسى مارسيل
پريتير، الصياد والرجل المحنك، بمحض الصدفة على قبيلة من الأقزام
ذوى الحجم الضئيل إلى حدّ مدهش. ولهذا ازداد دهشة عندما
أخبروه أن هناك شعبا أضالّ حتى من ذلك، بعد اجتياز غابات
ومسافات. وعلى هذا اندفع متوغلا أعمق فأعمق.

وفى شرقى الكونغو، بالقرب من بحيرة كيقو، اكتشف بالفعل
أضالّ الأقزام فى العالم. ومثل علبة داخل علبة داخل علبة، وربما
امتثالا للحاجة التى تشعر بها الطبيعة أحيانا إلى التفوق على نفسها
- كان هناك بين أضالّ الأقزام فى العالم أضالّ أضالّ الأقزام فى
العالم.

وهناك وسط البعوض والأشجار اللامبالية، وسط أعشاب المروج

الأكثر خصوبة وهددة، وجد مارسيل بريتر نفسه وجها لوجه أمام امرأة طولها سبع عشرة بوصة وثلاثة أرباع البوصة، ناضجة، سوداء، صامته - "سوداء مثل قرد"، كما قال للصحافة - كانت تعيش فوق قمة شجرة مع قرينها الضئيل. ووسط أبخرة الأدغال الويلة الفاترة، والتي تنضج الفاكهة مبكرا جدا، وتكسبها حلاوة لا تطاق تقريبا، كانت حُبلى.

هكذا وقفت هناك، أضال امرأة فى العالم. وبدا للحظة، فى قيظ الحر، وكأن الفرنسي بلغ بُغيته الأخيرة فجأة وبطريقة غير متوقعة. وربما فقط لأنه لم يكن مجنونا، فإن روحه لم يُصبها الوهن ولا هى تجاوزت حدودها. وأحسَّ بحاجة مباشرة إلى النظام وإلى تسمية ما هو قائم فسمّاها الزهرة الصغيرة. ولكى يكون بوسعه تصنيفها بين الوقائع الملموسة، بدأ فوراً فى جمع الحقائق عنها.

إن جنسها سينقرض فى القريب العاجل. ذلك أنه لم يتبق سوى نماذج قليلة لهذا النوع الذى كان من شأنه أن يتضاعف لولا الأخطار الخبيثة لأفريقيا. فالى جانب المرض، وأبخرة الماء المهلكة، ونقص الطعام، والحيوانات المفترسة التى تطوف فى كل مكان، يتمثل الخطر الكبير على قبيلة الليكوالا فى قبيلة الباهوندا المتوحشين، وهو خطر يحيط بهم فى الهواء الساكن، مثل فجر المعركة. فالباهوندا يصطادونهم بواسطة شبّاك، كالقروود. ويأكلونهم. هكذا: يُوقعونهم فى الشبّاك ويأكلونهم. وانتهى الأمر بهذا الجنس البالغ الضالة، المتقهقر، المتقهقر دوما، إلى الاختباء فى قلب أفريقيا، حيث اكتشفهم.

الرحالة المحظوظ. ومن أجل الدفاع الإستراتيجي، يعيشون فوق أطول الأشجار. والنساء يهبطن لطحن وخبز الغلال وجمع الخضروات؛ والرجال للصيد. وعندما يُولد طفل يتركونه حرا طليقا في الحال تقريبا. وصحيح أن الطفل لا يمكنه غالبا، بسبب الحيوانات المفترسة، أن يستمتع بهذه الحرية طويلا. لكنه صحيح بالتالي أنه لم يعد هناك عمل شاق من أجل هذه الحياة القصيرة. وحتى اللغة التي يتعلمها الطفل مختصرة وبسيطة، الأساسيات لا غير. ذلك أن الليكوالا يستخدمون أسماء قليلة، ويُسمّون الأشياء بالإشارات وأصوات الحيوان. أما بالنسبة للأمور الدينية فلديهم طبله. وفيما يرقصون على صوت الطبله، يقوم ذكر ضئيل الحجم بالحراسة ضدّ الباهوندا الذين يأتون من حيث لا يعلم أحد.

كانت تلك، إذن، الطريقة التي اكتشف بها الرحالة، واقفا على قدميه، أضال الكائنات البشرية الموجودة. وكان قلبه يدق، لأنه ليست هناك زمردة في العالم يمثل هذه الندرة. وتعاليم حكماء الهند ليست تمثل هذه الندرة. وأغنى رجل في العالم لم تقع عيناه على مثل هذه الرقة الغريبة. حقا كانت هناك امرأة ما كان بوسع شراة أروع حلم أن تتصورها قط. وكانت تلك هي اللحظة التي قال فيها الرحالة باستحياء، وبرقة شعور ما كان بوسع زوجته قط أن تتصور أنه قادر عليها: "أنت الزهرة الصغيرة".

في تلك اللحظة، هرشت الزهرة الصغيرة جسمها حيث لا يهرش أحد. الرحالة - وكأنه كان يتلقى أسمى جائزة للعفة يجرو شخص

صاحب مُثل عليا أن يطمح إليها - الرحالة، بكل تجارب حياته، نظر إلى الجهة الأخرى.

نُشرت صورة فوتوغرافية للزهرة الصغيرة فى الملاحق الملونة لجرائد الأحد، بالحجم الطبيعى. كانت ملفوفة فى قماش، وكان بطنها كبيرا جدا بالفعل. الأنف الأفطس، الوجه الأسود، القدمان العرجاوان. كانت أشبه بكلب.

فى ذلك الأحد، فى إحدى الشقق، شاهدت امرأة صورة الزهرة الصغيرة فى الجريدة فلم تشأ أن تنظر إليها مرة أخرى لأنها "تصيبني بالقشعريرة".

فى شقة أخرى، أحسّت سيدة بحنان منحرف نحو أضال نساء إفريقيا إلى حد أنه - حيث أن درهم وقاية خير من قنطار علاج - كان لا يمكن أبدا ترك الزهرة الصغيرة وحدها لحنان تلك السيدة. فمن يدرى إلى أى حب شنيع يمكن أن يقود الحنان؟ ظلت المرأة متكررة طول اليوم، وكأنها تقريبا كانت تفتقد شيئا ما. إلى جانب ذلك، كان الوقت ربيعا، وكان فى الجو تسامح خطر.

فى بيت آخر، شاهدت الصورة بنت صغيرة فى الخامسة وسمعت التعليقات، فاندھشت للغاية. ففى بيت مملوء بالكبار، كانت هذه الفتاة الصغيرة أضال كائن بشرى إلى ذلك الحين. وإذا كان هذا مصدر كافة الملاحظات فقد كان أيضا مصدر أول خوف من طغيان الحب. إن وجود الزهرة الصغيرة جعل البنت الصغيرة تحسّ - بانزعاج عميق لن ينقلب إلا بعد سنين وسنين، ولأسباب مختلفة

للغاية، إلى فكر - جعلها تحسّ، في بداية نضجها العقلي، بأن
"الأسى لا نهاية له".

في بيت غيره، في مستهل الربيع، أحسّت فتاة توشك على الزواج
بفيض من الشفقة: "ماما، انظري إلى صورتها الضئيلة، يا لها من
مسكينة ضئيلة! تصوري فقط كم هي حزينة!"
"لكن"، قالت الأم، قاسية ومحبطة ومزهوة: "إنه حزن حيوان. إنه
ليس حزنا بشريا".

"أوه، ماما!"، قالت البنت، بخيبة أمل.

في بيت غيره، كانت لدى صبي صغير ذكي فكرة ذكية: "مامى،
ليتنى كنت أستطيع أن أضع هذه المرأة الضئيلة من أفريقيا في
فراش بول الصغير وهو نائم، ألم يكن سيرتعب عندما يستيقظ؟ ألم
يكن سيولول؟ عندما يراها جالسة على فراشه؟ وعندئذ كنا سنلعب
بها! كانت ستصبح لعبتنا!"

كانت أمه تصفف شعرها أمام مرآة الحمام في تلك اللحظة،
وتذكرت ما قاله لها أحد الطبّاخين عن الحياة في ملجأ يتيّمات. لم
يكن لدى اليتيمات أى لُعب، وبأمومة مفرّعة كانت تنبض بالفعل في
قلوبهن، أخفت البنات الصغيرات موت طفلة عن الراهبة. احتفظن
بالجثة في دولاّب وعندما تخرج الراهبة كنّ يلعبن بالطفلة الميتة،
فيقمن بتحميمها ويقدّمن لها أشياء لتأكلها، ولا يعاقبنها إلا لتكون
قادرة على التقبيل، وكنّ يواسينها. في الحمام، تذكرت الأم هذا،
وأسقطت يديها الحانيتين، المليّتين بالتجاعيد. كانت تفكر في الحاجة

القاسية إلى الحب، وفكرت فى خبث رغبتنا فى السعادة، وفكرت فى كم نحتاج احتياجا وحشيا إلى اللعب. كم من مرات سنقتل فى سبيل الحب، عندئذ نظرت إلى طفلها الذكى وكأنها تنظر إلى غريب خَطِر. وكان بداخلها فزع من روحها هى التى، أكثر من جسدها، أوجدت ذلك الكائن البارع فى الحياة والسعادة. نظرتُ إليه باهتمام وبكبرياء قلقة، ذلك الطفل الذى فقد اثنتين من أسنانه الأمامية، حيث يتواصل النمو، وتنخلع الأسنان لتفسح المكان لتلك التى يمكنها أن تعضُ أفضل. "سأذهب لشراء بذلة جديدة له"، قررتُ، ناظرة إليه، مستغرقة فى التفكير. بعناد، كانت تزين ابنها المخلع الأسنان بالملابس الفاخرة؛ بعناد، كانت تريذه نظيفا جدا، وكأنما كان بوسع نظافته أن تؤكّد سطحية ملطفة، عاملة بعناد على الوصول بالجانب المذهب للجمال إلى حدّ الكمال. منتزعة بعناد نفسها وابنها بعيدا عن شىء ما "أسود مثل قرد". ثم، ناظرة إلى مرآة الحمام، ابتسمت الأم ابتسامة مهذبة وودودة عن عمد، محتفظة بمسافة من حاجز آلاف السنين الذى لا يمكن تخطيه بين الخطوط التجريدية للمامحها والوجه الفجّ للزهرة الصغيرة. لكنها كانت تعرف، بحكم سنين من العادة، أن هذا الأحد سيكون أحدا ينبغى أن تخفى فيه عن نفسها القلق والأحلام وآلاف السنين المفقودة.

فى بيت غيره، انهمكوا فى المهمة الساحرة، مهمة أن يقيسوا على الحائط طول الزهرة الصغيرة الذى يبلغ سبع عشرة بوصة وثلاثة أرباع البوصة، وكانت مفاجأة سارة حقا: كانت أضال حتى مما كان

بوسع أحد خيال أن يصوره، وفي قلب كل فرد من أفراد الأسرة تولدت الرغبة، جارفة الحنين، في أن يمتلك ذلك الشيء الضئيل والذي لا يقهر في حد ذاته، ذلك الشيء الضئيل الذي تفادى أن يؤكل، ذلك النبع الدائم للمحبة. لقد رغبت الروح الأسرية الشرهة في أن تكرس نفسها، وإذا شئنا الحقيقة، من ذا الذي لم يرغب في أن يمتلك كائننا بشريا لنفسه فقط؟ الأمر الذي لن يكون ملائما دائما، هذا صحيح؛ فهناك أوقات لا يريد فيها المرء أن تكون لديه مشاعر.

"أراهن على أنها لو كانت تعيش هنا لانتهى الأمر إلى قتال"، قال الأب، جالسا في الكرسي المريح وهو يقلب صفحة الجريدة بعزم وتصميم. "في هذا البيت ينتهى كل شيء إلى قتال".

"أوه، أنت يا جوزيه - متشائم دوما"، قالت الأم.

"لكن، يا ماما، هل فكرت في الحجم الذي سيكون لطفلها؟"، قالت كبرى البنات الصغيرات، وهي في الثالثة عشرة، متلهفة.

تحرك الأب منزعا وراء جريدته.

"لا بد أنه سيكون أضال طفل أسود في العالم"، أجابت الأم، وهي تذوب من فرط البهجة. "تصوروها تخدم على مائدتنا، ببطنها الضئيل الضخم!"

"كفى"، زمجر الأب.

"لكن عليك أن تسلم بأنها "تحفة" نادرة. إنك أنت المتبلد الشعور"، قالت الأم متضايقة بصورة غير متوقعة.

والتحفة النادرة نفسها؟

فى نفس الوقت، فى أفريقيا، كانت التحفة النادرة نفسها، تحمل فى قلبها - ومن يدري ما إذا كان قلبها أسود، أيضا، حيث أنه دائما تكون الطبيعة أخطأت لا يعود بالإمكان أن نثق بها - كانت التحفة النادرة نفسها تحمل فى قلبها شيئا حتى أكثر ندرة، وكأنه سرّ سرّها: أضالّ طفل ممكن. بطريقة منهجية، درس الرحالة ذلك البطن الضئيل لأضالّ كائن بشرى كامل النمو. وهذه هى اللحظة التى أحسّ فيها الرحالة، لأول مرة منذ عرفها، بدلا من الإحساس بالفضول أو الغبطة أو الانتصار أو الحماس العلمى، أحسّ بالاشمئزاز:

كانت أضالّ امرأة فى العالم تضحك.

كانت تضحك، بدفء، بدفء - كانت الزهرة الصغيرة تستمتع بالحياة. كانت التحفة النادرة نفسها تذوق الإحساس الذى لا يوصف المتمثل فى أنها لم تؤكل بعد. كان كونها لم تؤكل بعد شيئا من شأنه فى أى وقت آخر أن يعطيها الحافز الرشيق للقفز من غصن إلى غصن. لكنها، فى لحظة الهدوء هذه، وسط الأعشاب الكثيفة لشرقى الكونغو، لم تكن تضع هذا الحافز موضع التنفيذ - كان مركزا تماما فى ضالة التحفة النادرة ذاتها. لهذا كانت تضحك. كانت ضحكة لا يضحكها سوى شخص لا يتكلم. كانت ضحكة لم يكن بوسع الرحالة، المرتبك، أن يصنّفها. وظلت تستمتع بضحكتها الناعمة، هى التى لم يفترس بعد، إن كون المرء لم يفترس بعد هو أكمل إحساس. إن كون المرء لم يفترس بعد هو الغاية الخفية لحياة بكاملها، وما

دامت لم تكن تؤكل فى تلك اللحظة، كانت ضحكاتها الهمجية رقيقة
رقة البهجة. وارتبك الرحالة.
ومن ناحية أخرى، إذا كانت التحفة النادرة ذاتها تضحك فإنما
كان ذلك لأنه، بداخل ضالتها، بدأ يتحرك ظلام دامس.
أحسّت التحفة النادرة ذاتها بدفء فى قلبها ربما أمكن أن يُسمّى
الحب. لقد أحببت ذلك الرحالة ذا الوجه الشاحب، ولو كان
بمستطاعها أن تتكلم فأخبرته أنها أحبته لانتفخ غرورا. ذلك الغرور
الذى كان سيتهاوى عندما تضيف أنها أحببت أيضا خاتم الرحالة
حباّ جمّا، وكذلك حذاء الرحالة "البوت". وعندما يحدث هذا التهاوى،
لم تكن الزهرة الصغيرة لتفهم لماذا. لأن حبها للرحالة - بل ربما
أمكن القول "حبها العميق"، حيث أنها، لأنها لا تملك أى ملاذ آخر،
كانت ستلوذ بالعمق - لم يكن لحبها العميق للرحالة أن ينتقص منه
على الإطلاق واقع أنها أحببت أيضا حذاءه، وهناك سوء تفاهم قديم
فيما يتعلق بكلمة "حب"، وإذا كان كثير من الأطفال ولدوا من سوء
التفاهم هذا فإن كثيرين آخرين فقدوا الفرصة الوحيدة لأن يولدوا،
فقط بسبب الحساسية التى تقتضى أن أكون أنا! أنا! المحبوب،
وليس نقودى. غير أنه فى رطوبة الغابة لا توجد هذه التدقيقات
القاسية، فالحب هو ألا يؤكل المرء، الحب هو الحصول على حذاء
جيد، الحب هو الميل إلى اللون الغريب لرجل ليس أسود، هو الضحك
حبا لخاتم لامع. ولعت عينا الزهرة الصغيرة حباّ، وضحكت بدفء،
ضئيلة، حُبلى، دافئة.

حاول الرحالة أن يردّ بابتسامه، دون أن يدرى بالضبط لأيّ هابوية استجابات ابتسامته، ثم ارتبك كما لا يمكن إلا لرجل عظيم جدا أن يرتبك. وتظاهر بأنه يعدّل من وضع قبعة الرحالة التي يلبسها، واحمرّ وجهه خجلا، بمنتهى الاحتشام، وانقلب إلى لون فاتن، لون وردى ضارب إلى الخضرة، كلون الجير عند شروق الشمس. ولا شك في أنه كان متكدرا.

ومن الجائز أن تعديل وضع الخوذة الرمزية ساعد الرحالة على أن يسيطر على نفسه، وعلى أن يستردّ بصرامة نظام عمله، وعلى أن يواصل تدوين ملاحظاته. وكان قد تعلم كيف يفهم بعض الكلمات القليلة الملفوظة التي تستخدمها القبيلة، وكيف يفسر إشاراتهم. وكان يمكنه، الآن، أن يوجه أسئلة.

أجابت الزهرة الصغيرة: "نعم". بأنه لطيف جدا أن تملك شجرة خاصة بها تعيش فوقها. لأنه - لم تقل هذا غير أن عينيها أظلمتا بحيث قالتاه - لأنه من الخير أن نملك، من الخير أن نملك، من الخير أن نملك. وغمز الرحالة بعينه مرارا.

مرّ مارسيل پريتير بلحظات صعبة مع نفسه. غير أنه ظل مشغولا على أية حال بتدوين ملاحظاته. وكان على أولئك الذين لم يدونوا ملاحظات أن يتدبروا أمورهم بأفضل ما كان بوسعهم:

"حسنا"، أعلنت فجأة سيدة عجوز، وهى تطوى الجريدة بإصرار، "حسنا، كما أقول دائماً: الله وحده يعلم ماذا يفعل".

مس الجریف

کلاریس لیسپکتور (البرازیل)

كانت حسّاسة للنقد. ولهذا لم تقل أىّ شىء لأىّ شخص. ولو
تألّمت لما صدّقوها، لأنهم لم يكونوا يصدّقون الواقع. لكنها، هى التى
تعيش فى لندن، حيث تسكن الأشباح فى الأزقة المظلمة، كانت تعلم
علم اليقين.

كان يومُها فى يوم الجمعة مثله فى أىّ يوم آخر. ولم يحدث ما
حدث إلا يوم السبت ليلا. لكنها فعلتْ كل شىء يوم الجمعة كالمعتاد.
كانت لاتزال تعذبها ذكرى مفزعة: عندما كانت صغيرة جدا، فى
حوالى السابعة من العمر، كانت قد لعبتْ لعبة الأسرة مع ابن عمها
چاك؛ ففى الفراش الكبير للجدِّ فعَلا معا كل شىء كان بوسعهما أن
يفعله للحصول على طفل صغير، لكنْ بدون نجاح. ولم تر چاك بعد
ذلك أبدا، كما أنها لم تردّه أيضا. وإذا كانت هى مذنبّة فقد كان هو

أيضا كذلك.

عزباء، طبعاً، عذراء، طبعاً. كانت تعيش وحدها فى مبنى صغير ملحق فى حى سوهو. وفى ذلك اليوم كانت قد فرغت من إحضار مشترياتها من البقالة: الخضروات والفواكه. ذلك أنها اعتبرت أكل اللحم خطيئة.

عندما مرّت عبر ميدان بيكاديللى ورأت النساء فى انتظار رجال على نواصى الشوارع، كادت تتقيأ. بل أسوأ - مقابل نقود! كان ذلك أكثر مما يمكنها أن تتحمل. وكان ذلك التمثال، هناك، لإيروس (إله الحب)، فى منتهى عدم اللياقة.

بعد الغداء ذهبّت إلى العمل: كانت كاتبة ممتازة على الآلة الكاتبة. ولم يكن رئيسها يراجع عليها أبداً، وكان يعاملها، لحسن الحظ، باحترام، فيناديها "مس أَلْجريف" وكان اسمها الأول رُوث. وكانت من أصل أيرلندى. ولأنها حمراء الشعر، كانت تعقد شعرها فى عقدة قاسية وراء عنقها. وكان ينتشر على وجهها الكثير جدا من النمش وكانت بشرتها صافية وناعمة حتى أنها كانت تبدو من الحرير الأبيض. وكانت رموشها حمراء أيضا. كانت امرأة رائعة. كانت فخورة للغاية بقوامها: الوافر المتانة والطول. لكن لا أحد لمس صدرها أبداً.

كانت تتغدى عادة فى مطعم رخيص هناك فى سوهو. وكانت تأكل الإسپاجيتى بصلصة الطماطم. ولم تدخل أبدا حانة. كانت رائحة الكحول تصيبها بالغثيان كلما مرّت بمكان من هذا القبيل.

وأحسّت أن الجنس البشرى يجرح مشاعرها.

كانت تزرع الجيرانيوم الأحمر الأمر الذى كان مفخرة فى الربيع.
وكان أبوها قسيساً بروتستانتيّاً، وكانت أمها لاتزال تعيش فى دبلن
مع ابن متزوج. وكان أخوها متزوجاً من داعرة حقيقية اسمها
توتسى.

على فترات متباعدة، كانت مس الجريّف تكتب رسالة احتجاج
إلى التايمز. وكانوا ينشرونها. وكانت تدوّن اسمها ببالغ السرور:
"المخلصة، روث الجريّف".

. كانت تأخذ حماماً مرة فى الأسبوع بالضبط، يوم السبت. ولكى
لا ترى جسدها عارياً، كانت تظل لابسة اللباس والسوتيان.
كان اليوم الذى حدث فيه ما حدث يوم سبت، ولهذا لم يكن عليها
أن تذهب إلى العمل. استيقظت مبكرة جداً وشربت قليلاً من شاي
الياسمين. ثم صلت. ثم خرجت تبحث عن بعض الهواء النقى.
بالقرب من فندق ساوا كادت تدوسها سيارة. ولو حدث هذا
وماتت لكان هذا رهيباً، لأنه لم يكن ليحدث لها شيء فى تلك الليلة.
ذهبت إلى تدريب لجوقة المرتلين. وكان لها صوت رخيم. أجل،
كانت إنسانة محظوظة.

فى وقت لاحق، ذهبت لتتغذى وسمحت لنفسها بأن تطلب
الجمبرى: كان جيداً إلى حدّ أنه كان يبدو حتى خطيئة.
ثم أخذت سبيلها إلى هايد پارك وجلست على الحشائش. وكانت
أحضرت معها الكتاب المقدس لتقرأ. لكن - وليغفر لها الله - كانت

الشمس متوحشة وسخية وحارة إلى درجة أنها لم تقرأ شيئا، لكنها ظلت جالسة فقط على الأرض دون أن تملك الشجاعة لتستلقي. وحاولت ألا تنظر إلى الناس الذين كانوا اثنيثات يقبل ويعانق كل منهما الآخر بلا أدنى خجل.

ثم عادت إلى البيت، وروت البيجونيا، وأخذت حماما. ثم ذهبت تزور مسز كابوت، التي كانت فى السابعة والتسعين من عمرها. أحضرت لها قطعة من الكيك بالزبيب، وشربت الشاي. وأحست مس الجريف بأنها سعيدة للغاية، ومع ذلك... ومع ذلك.

فى الساعة السابعة عادت إلى البيت. لم يكن لديها ما تفعل. ولهذا بدأت تحيك سترة من الصوف للشتاء. لون بديع: أصفر كالشمس.

قبل أن تذهب إلى الفراش، شربت مزيدا من شاي الياسمين بالبسكويت، ونظفت أسنانها بالفورشة، وغيّرت ملابسها، ودست نفسها فى الفراش. أما ستائرُها البيضاء الشفيفة فكانت رتقتها وعلقتها بنفسها.

كان الوقت مايو. وكانت الستائر تهتزّ مع أنسام هذه الليلة الفريدة. فريدة لماذا؟ لم تكن تعلم.

قرأت قليلا فى الجريدة الصباحية ثم أطفأت اللبة التى عند رأس سريرها. وعبر النافذة المفتوحة رأت ضوء القمر. كانت ليلة البدر. تحسرت كثيرا لأنه كان من الصعوبة بمكان أن تعيش بمفردها. كانت الوحشة تسحقها. وكان من المفزع ألا يكون لها شخص واحد

وحيد تتحدث معه. كانت أكثر مخلوق عرفتة عزلة. حتى مسز كابوت كانت لديها قطة. ولم يكن لدى مس الجريف أى حيوان أليف تقوم بتدليله على الإطلاق: كانت هذه الحيوانات وحشية للغاية حسب ذوقها. ولم يكن لديها تليفزيون. لسببين: لم تكن تقدر على شرائه، ولم تكن ترغب فى أن تجلس هناك لتشاهد اللاأخلاقيات التى تظهر على شاشة التليفزيون. وعلى تليفزيون مسز كابوت كانت رأت رجلا يقبل امرأة فى فمها. وهذا بلا أى إشارة إلى خطر نقل الجراثيم. أه، لو كان باستطاعتها لكتبت رسالة احتجاج إلى التايمز كل يوم. لكن الاحتجاج لم يعد بائى فائدة، أو هكذا بدا. كانت قلّة الحياء تتفشى. بل لقد رأت كلبا مع كلبة. وقد صدمها هذا كثيرا. لكن مادامت هذه مشيئة الرب فلا بد لمشيئة الرب أن تكون. لكن لا أحد سوف يمسها فى يوم من الأيام، هكذا فكرت. وراحت تصبر على عزلتها.

حتى الأطفال كانوا لا أخلاقيين. وتحاشتهم. وأسفت بشدة على أنها ولدت من انقياد أبيها وأمها للشهوة. وخجلت من كونهما لم يخجلا.

ومنذ أخذت تترك حبوب أرز على نافذتها، صار الحمام يزورها. وأخذ الحمام يدخل حجرتها أحيانا. كان الرب هو الذى يرسل الحمام. برئ للغاية. الهديل. لكنه - هديل الحمام - كان لا أخلاقيا أيضا، لكنه كان أقلّ لا أخلاقية من رؤية امرأة عارية تقريبا على شاشة التليفزيون. وفى الغد، بلا أدنى شك، كانت ستكتب رسالة تحتج فيها على الممارسات الشريرة لتلك المدينة الملعونة، لندن. وكانت

رأت ذات مرة طابورا من المدمنين خارج صيدلية، ينتظر كل منهم دوره لأخذ حقنة. كيف تسمح الملكة بهذا؟ لغز. ستكتب رسالة أخرى تشجب فيها الملكة ذاتها. كانت تكتب جيدا، بدون أية أخطاء نحوية، وكانت تكتب الرسائل على الآلة الكاتبة فى المكتب عندما كانت تجد بعض الوقت الخالى. وكان مستر كليرسون، رئيسها، يشيد بشدة برسائلها المنشورة. بل قال أنها قد تغدو كاتبة ذات يوم. وكانت بالغة الاعتزاز والامتنان.

هكذا إذن كانت تستلقى فى فراشها مع عزلتها. ومع ذلك. كانت تلك هى اللحظة التى حدث فيها ما حدث. أحسّت بأن شيئا ما ولم يكن حمامة دخل من النافذة. كانت خائفة. صرخت:

"مَنْ هناك؟".

وجاءت الإجابة فى صورة ريح:

"أنا عبارة عن أنا".

"مَنْ أنت؟" سألت، وهى ترتجف.

"جئتُ من كوكب زحل لأحبك".

"لكننى لا أرى أى شخص!" صاحت.

"ما يهم هو أنه يمكنك أن تحسنى بى".

وقد أحسّت به بالفعل. أحسّت برعشة كهربائية.

"ما اسمك؟"، سألت فى رعب.

"لا يهم". "لكننى أريد أن أنطق باسمك!".

"ناديني إكستلان".

كان تفاهمهما بالسنسكريتية. وكانت لسته باردة، مثل لمسة
سحلية، تصيبها بقشعريرة. وكان على رأس إكستلان تاج من
الثعابين المتشابكة، التي روضها الفزع من الموت. وكان الرداء بلا
كمّين والذي يغطى جسده من الأرجوانى الأكثر إيلاما؛ كان ذهبيا
رديئا وأرجوانيا غليظا.

قال: "اخلع ثيابك".

خلعت ثياب نومها، وكان القمر ضخما داخل المنزل، وكان
إكستلان أبيض وصغيرا، واستلقى إلى جوارها على السرير
المعدنى. ومرّ بيديه على صدرها، وردتان سوداوان.

لم تحسّ فى يوم من الأيام بما أحسّت به فى تلك اللحظة. كان
شيئا لطيفا للغاية. وكانت تخشى أن ينتهى، كان يبدو وكأن شخصا
مشلولاً ألقى بعكازه فى الهواء.

وبدأت تنهد وقالت لإكستلان:

"أحبك، يا حبيبي! يا حبي!"

و- أجل، حقا. لقد حدث. لم تكن تريده أن ينتهى أبدا. كم كان
حسنا، يا إلهى. وأرادت أكثر، أكثر، أكثر.

فكرت: خذنى! أو بطريقة أخرى: أقدم لك نفسى. وكان انتصارا
"لللها والآن".

سألته: متى ستعود؟

أجاب إكستلان:

"فى ليلة البدر التالية".

"لكن لا يمكننى الانتظار طوال ذلك!".

"لا مناص من ذلك"، قال ببرود تقريبا.

"هل أتوقع طفلا؟".

"لا".

"لكننى سأموت من افتقارك! ماذا يمكننى أن أفعل؟".

"اعتادى على هذا".

نهض، وقبلها بعفة على الجبين. وخرج من النافذة.

بدأت تبكى بصوت خافت، بدت وكأنها كمان حزين بلا قوس.

وكان الدليل على أن كل هذا قد حدث بالفعل الملاءة الملوثة بالدم،

احتفظت بها دون أن تغسلها وستكون قادرة على أن تريها لأى

شخص قد لا يصدقها.

رأت النهار الجديد يبرز غارقا كله فى الأحمر الوردى، وفى

الضباب بدأت الطيور القليلة الأولى سقسقة حلوة، لم تكن بعد

محمومة.

أشعل الرب جسدها.

لكنها، وكأنها بارونة من بارونات فون بليش، مستلقية على غطاء

سريرها الساتان بحنين إلى الماضى، تظاهرت بأنها تدق الجرس

لاستدعاء كبير الخدم الذى سيأتيها بالقهوة، ساخنة وثقيلة، ثقيلة

جدا.

أحبته وكان عليها أن تنتظر ليلة البدر التالية بحماس متقد. وكان

عليها أن تتجنب أخذ حمام حتى لا تزيل مذاق إكستلان. ومعه لم يكن ذلك خطيئة، بل بهجة. ولم ترغب بعد ذلك في كتابة أية رسائل احتجاج: كانت لم تعد تحتجّ.

ولم تذهب إلى الكنيسة، كانت امرأة متحققة، كان لها زوج. وهكذا، ففي يوم الأحد، في وقت الغداء، أكلت شرائح لحم البقر مع بطاطس مهروسة، كان اللحم اللعين رائعا، وشربتُ النبيذ الإيطالي الأحمر، كانت محظوظة في الواقع، لقد اختارها كائن من كوكب زحل.

كانت سألتها لماذا اختارها، وكان قد قال أن ذلك كان لأنها حمراء الشعر وعذراء. وأحسّت بوحشية. كانت لم تعد تجد الحيوانات منفرة. دع الحيوانات تمارس الجنس - كان أفضل شيء في العالم. وكان عليها أن تنتظر إكستلان. سيعود: أعرف ذلك، أعرف ذلك، أعرف ذلك، هكذا فكرت. كما أنها لم تُعدّ تشعر باشمئزاز نحو اثنينات هايد پارك. لقد عرفتُ بماذا كانوا يشعرون.

ما أجمل أن نحيا، ما أجمل أن نأكل اللحم اللعين، ما أجمل أن نشرب نبيذا إيطاليا لاذعا، يقلّص لسانك بمرارته.

وعندئذ لم يكن يُوصى به أحد للقصر تحت الثامنة عشرة، وكانت مبتهجة، وكان لعبها يسيل حرفيا عليه.

وحيث كان اليوم الأحد، ذهبتُ إلى جوقة ترتيلها ترتل. ورتلتُ أفضل من أيّ وقت مضى ولم تندهش عندما اختاروها مرتلة منفردة. ورتلتُ تسبيحة شكرها لله "هللويا". هكذا: هللويا! هللويا! هللويا!

بعد ذلك ذهبْتُ إلى هايد پارك واستلقتُ على الحشائش الدافئة،
فاتحة ساقِيها قليلا لتدع الشمس تدخل. كان كونها امرأة شيئا
رائعا. يمكن لامرأة فقط أن تفهم. لكنها تساءلت: ترى هل سيكون
على أن أدفع ثمنا عاليا مقابل سعادتي؟ ولم تنزعج، كانت راغبة في
دفع كل ما كان عليها أن تدفع، لقد دفعتُ دائما وكانت تعيسة دائما.
والآن انتهت التعاسة. إكستلان! تعال بسرعة! لم يعد يمكنني
الانتظار! تعال! تعال! تعال!

تساءلت: ترى هل أحبني لأنتي حواء إلى حدٍّ ما؟ يمكنها أن
تسأله في ليلة البدر التالية. إن كان هذا صحيحا فلاشك عندها:
ستدفع الأمور إلى الحدود القصوى، ستجعل نفسها حواء تماما.
إكستلان، أي شيء تريدني أن أفعله، سأفعله، فقط أموت من الشوق.
عدْ إليّ، يا حبيبي.

أجل. لكنها فعلت شيئا كان خيانة. إن إكستلان سيفهمها ويغفر
لها، وعلى أية حال، أنت تفعل ما عليك أن تفعل، مضبوط؟
وإليك كيف سارت الأمور: عاجزة عن أن تتحمل ذلك وقتا أطول،
مضتُ إلى ميدان بيكاديللي واقتربتُ من شاب طويل الشعر، سعدتُ
به إلى حجرتها، قالتُ له أنه ليس عليه أن يدفع. لكنه أصرَّ وترك، قبل
أن ينصرف، ورقة بجنيه إسترليني كامل على الكومودينو. والحقيقة
أنها كانت بحاجة إلى النقود. على أنها استشاطتُ غيظا عندما
رفض تصديق قصتها. وأظهرتُ له، تقريبا تحت أنفه، الملاءة الملوثة
بالدم. وضحك منها.

صباح الاثنين عقدت عزمها: لن تستمر في العمل كاتبة على الآلة الكاتبة، فلديها مواهب أخرى. ويمكن لمستر كليرسون أن يذهب إلى الجحيم. كانت عازمة على المشي في الشوارع وجلب الرجال والصعود بهم إلى حجرتها، ولأنها كانت ممتازة جدا في الفراش، سيدفعون لها جيدا جدا. وسيكون بمستطاعها أن تشرب النبيذ الإيطالي طوال الوقت، ورغبت في شراء فستان أحمر فاقع بالنقود التي تركها لها الشخص الطويل الشعر. وجعلت شعرها ينسدل إلى حد أنه كان آية في جمال الحمرة. وكانت أشبه ما تكون بعواء ذئب. كانت قد علمت أنها ثمينة للغاية. وإذا أراد منها مستر كليرسون، ذلك المنافق، أن تستمر في العمل لديه فسيكون هذا بطريقة مختلفة تماما.

أولا ستشتري لنفسها ذلك الفستان الأحمر الديكولتيه المكشوف الصدر والكثفين ثم تذهب إلى المكتب، وتصل متأخرة جدا، عن عمد، لأول مرة في حياتها. وهذه هي الطريقة التي ستخاطب بها رئيسها: "كفى نسُخا على الآلة الكاتبة! وأنت، أيها المحتال، كُفَّ عن أساليبك الزائفة. تريد أن تعرف شيئا؟ ادخل الفراش معي، أيها الجلف! وليس هذا كل شيء: ادفع لي راتبا عاليا جدا، أيها البخيل!"

كانت واثقة من أنه سيقبل. كان متزوجا من امرأة باهتة، تافهة، چوان، وكانت له ابنة مصابة بالأنيميا، لوسى. وسيمتع نفسه معي، ابن القحبة.

وعندما تأتي ليلة البدر - ستأخذ حماماً، مطهرة نفسها من كل
أولئك الرجال، لكي تكون مستعدة للاستمتاع للغاية مع إكستلان.

قروء المارموزيت

كلاريس ليسيكتور (البرازيل)

المرّة الأولى التي حصلنا فيها على قرد من نوع المارموزيت كانت قبيل عيد الميلاد، وكنا بدون ماء وبدون خادمة، وكان الناس يقفون في الطوابير لشراء اللحم، وكان الطقس الحار قد بدأ فجأة - عندما شاهدتُ، مذهولة، القرد الهدية يدخل البيت، منهمكا في أكل موزة، متفحصا كل شيء بسرعة بالغة، وبذيل طويل. كان يبدو قردا لم يكبر بعد؛ وكانت قدراته هائلة. تسلق الملابس المنشورة ليصل إلى جبل الغسيل، حيث أخذ يسبّ ويشتم مثل بحار، وسقط قشر الموز كيفما اتفق. وصرتُ مرهقة بالفعل. وفي كل مرة أنسى فيها وأخرج شاردة الذهن إلى الشرفة الخلفية، كنتُ أجفل: كان هناك ذلك الرجل السعيد. أدرك ابني الأصغر، قبل أن أدرك أنا، أنني سأتخلص من هذا الغوريلا: "إذا بشرتُك بأن القرد سيصيبه المرض ذات يوم

ويموت، هل ستدعيه يبقى؟ أو إذا علمت أنه سيسقط ذات يوم من النافذة، بطريقة ما، ويموت هناك فى الأسفل؟" وكانت أحاسيسى تنزاح جانبا. ذلك أن بذاءة القرد الصغير وغفلته المرحية جعلتاني مسئولة عن مصيره، حيث أنه لن تقع عليه أية مسئولية. أدرك أحد الأصدقاء كيف أننى رضختُ بمرارة، وأية نوايا شريرة كانت تتنامى تحت طبيعتى الحالية، وأنقذنى بطريقة فظة: قدمتُ جماعة مبتهجة من الأطفال الصغار من التل وحملوا الرجل الضاحك بعيدا. وكانت السنة الجديدة مسلوية من الحيوية لكنها كانت على الأقل بلا قروود.

بعد ذلك بسنة، وفى وقت من أوقات السعادة، رأيتُ فجأة هناك فى كويكابانا ذلك الجمع الصغير. وفكرتُ فى أطفالى، فى المباحج التى منحونى إياها، بسخاء، غير مرتبطة بالهموم التى منحونى أيضا إياها، بسخاء، وفكرتُ فى سلسلة من البهجة: "هل سيقوم الشخص الذى يتلقى هذه بنقلها إلى شخص آخر"، وكل شخص إلى آخر، مثل شرارة على طول قطار بارود؟ فى تلك اللحظة وفى ذلك المكان اشتريتُ تلك التى سيكون اسمها ليزيت.

كانت بحجم يد واحدة تقريبا. وكانت تلبس جونلة، وقرطين، وعقدا، وسوارا من الخرز الزجاجى. وكانت لها هيئة مهاجرة تنزل لتوها من السفينة، فى زيها الوطنى. ومثل عيني مهاجرة، أيضا، كانت عيناها مستديرتين.

كانت هذه المارموزيت امرأة مصغرة، عاشت معنا ثلاثة أيام. كانت عظامها رقيقة للغاية، وكانت حلوة للغاية، وأكثر من عينيها،

كانت نظرتها مستديرة، ومع كل حركة، كان القرطان يهتزان؛ وكانت الجولة أنيقة دائماً، وكان العقد الأحمر يتلألأ. كانت تنام كثيراً، لكنها فيما يتعلق بالأكل كانت حذرة وكسولة. وكانت ملاطفتها النادرة مجرد عضّة خفيفة لا تترك أثراً.

فى اليوم الثالث كنّا خرجنا إلى الشرفة يملؤنا الإعجاب بليزيت وكيف كانت ملكاً لنا. "لطيفة للغاية"، فكرتُ، مفتقدة الغوريلا. وفجأة قال قلبى بغلظة: "لكن هذا ليس لُطفاً. هذا موت". تركنى جفاف الرسالة هادئة، وقلتُ للطفلين: "ليزيت تموت". أدركتُ، وأنا أنظر إليها، مرحلة الحب التى كنا بلغناها حينئذ. لففتها فى فوطة وذهبت بها مع الطفلين إلى أقرب مركز للإسعافات الأولية، حيث لم يكن بوسع الطبيب أن يعتنى بها لأنه كان يُجرى عملية عاجلة للكلب. تاكسى آخر - "تعتقد ليزيت أنها خرجت للقيام بنزهة فى السيارة، يا ماما" - مستشفى آخر. وهناك أعطوها الأكسجين.

ومع أنفاس الحياة، فوجئنا بليزيت أخرى لم نعرفها من قبل. العينان أقل استدارة، أكثر تحفظاً، أكثر ضحكا، وفى الوجه البارز الفكين والعادى نوع من العجرفة الساخرة. ومع أكسجين أكثر قليلاً رغبتُ ليزيت بشدة فى أن تتكلم إلى حدٍّ أنها لم تستطع أن تطيق كونها قردة؛ وكانت كذلك، ولا بدّ أنه كان لديها الكثير لتقوله. مزيد من الأكسجين، ثم حقنة محلول ملح؛ وكان ردّ فعلها على الشكّة بصفعة غاضبة، وكان سوارها يتلألأ. ابتسم الممرض: "ليزيت! على مهلك، يا عزيزتى!".

التشخيص: لن تعيش ليزيت ما لم يكن هناك أكسجين جاهزا للاستعمال وحتى في هذه الحالة فليس هذا مرجحاً. "لا تشتري قرودا من الشارع"، ويخنى، "أحياناً تكون مريضة أصلاً". لا، ... ينبغي أن يشتري المرء قرودا مضمونة، وأن يعرف من أين جاءت، ليضمن خمس سنوات على الأقل من الحب، وأن يعرف كل ما فعلته وما لم تفعله هذه القروء، مثل الزواج. وتناقشت في الأمر مع الطفلين دقيقة، ثم قلت للممرض: "يبدو أنك أحببت ليزيت كثيراً. ولهذا إذا جعلتها تبقى بضعة أيام بجوار الأكسجين، يمكنك أن تأخذها". كان يفكر، "ليزيت رائعة!" هكذا توسلت إليه.

"إنها جميلة!" وافق، متفكراً. ثم تنهد وقال "إذا نجحت في علاج ليزيت، فهي لك أنت". وانصرفنا بفوطتنا خالية.

في اليوم التالي اتصلوا بنا تليفونيا، وأبلغت الطفلين أن ليزيت ماتت. سألتني الأصغر: "هل تعتقدين أنها ماتت لابسة قرطها؟" قلت نعم. بعد ذلك بأسبوع قال لي الأكبر: "يبدو أنك تحبين ليزيت كثيراً جداً!".

أجبت: "أحبك أنت، أيضاً".

ضيف المعلمة

إيسابيل أييندى (تشيلي)

دخلت المعلمة إينيس دكان لؤلؤة الشرق الخالى فى مثل هذه الساعة، وسارت إلى الكاونتر حيث كان رياض حلبى يلفّ ثوبا من قمماش منقوش بزهور زاهية، وأبلغته أنها منذ قليل قطعت رأس ضيف فى بنسيونها. أخرج التاجر منديله الأبيض ووضع به بسرعة على فمه.

"ماذا تقولين يا إينيس؟"

"ما سمعته بالضبط، أيها التركى"

"هل مات؟"

"طبعا"

"والآن ماذا ستفعلين؟"

"هذا ما جئت أسألك عنه"، ردّت، وهى تعيد إلى الوراء خصلة

شعر شاردة. "أعتقد أن من الأفضل أن أغلق الدكان"، قال رياض حلبى وهو يتنهد.

كان الاثنان يعرفان بعضهما البعض منذ وقت طويل إلى حد أنه لم يكن بوسع أحدهما أن يتذكر عدد السنين بالضبط، رغم أن كلا منهما ظل يتذكر كل تفاصيل اليوم الذى بدأت فيه صداقتهما. وفى ذلك الحين كان حلبى أحد أولئك الباعة الذين يتجولون فى الطرق الفرعية عارضين بضائعهم، كان تاجرا رحالة بدون بوصلة أو طريق محدد، وكان مهاجرا عربيا بجواز سفر تركى مزور، وكان متوحدا ومتعبا، وكان أشرم مثل أرنب وبالتالى ميالا إلى القعاد فى الظل. وكانت إينيس امرأة ماتزال شابة ذات ردفين مكتنزين وكتفين مفعمين بالحيوية، وكانت المعلمة الوحيدة بالبلدة، كما كانت أمًا لابن فى الثانية عشرة من عمره مولود نتيجة لعلاقة غرامية عابرة. وكان الصبى محور حياة المعلمة، وكانت ترعاه بتفانٍ لا يتزعزع غير أنها، وهى تخفى بالكاد ميلها إلى تدليله، طبقت عليه نفس معايير الانضباط التى طالبت بها بقية أطفال المدرسة. كانت لا تريد أن يكون بوسع أحد أن يقول إنها أساءت تربيته، وفى الوقت نفسه كانت تأمل فى أن تحو ميراث أبيه المشاكس وفى أن تنشئ ابنها على العكس من ذلك على أن يكون صافى العقل وسمح القلب. وفى نفس المساء الذى دخل فيه رياض حلبى أجوا سانتا من أحد طرفى البلدة راكبا عربة، دخلها من الطرف الآخر مجموعة من الصبية حاملين جثمان ابن المعلمة إينيس على نقالة تم إعدادها على عجل. وكان

الصبي قد دخل أرضا يملكها شخص ما ليلتقط ثمرة مانجو سقطت على الأرض، فأطلق المالك، وكان غريباً لا يعرفه أحد جيداً، طلقة نارية من بندقيته بقصد تخويف الصبي وإبعاده، غير أنها أحدثت ثقباً أسود في منتصف جبهته ومنه تسربت حياته بسرعة. وفي تلك اللحظة، اكتشف البائع المتجول موهبته في القيادة، ودون أن يدرى كيف، وجد نفسه في بؤرة الأحداث، مواسياً للمرأة، منظماً للجنائز، وكأنه أحد أفراد الأسرة، ومهدئاً الناس ليمنعهم من أن يمزقوا مرتكب الجريمة إرباً إرباً. وفي الوقت ذاته، أدرك القاتل أن حياته لن تساوى شيئاً إن بقي هناك فهرب قاصداً ألا يعود أبداً.

ورياض حلبي هو الذي كان في الصباح التالي على رأس الجمهور الذي سار من الجبانة إلى المكان الذي سقط فيه الصبي. وقضى كل سكان أجوا سانتا ذلك اليوم ينقلون ثمار المانجو التي ظلوا يلقون بها من النوافذ إلى أن امتلأ المنزل من الأرضية إلى السقف. وبعد أسابيع قليلة أدت الشمس إلى تخمر الثمار التي كانت تنفجر مفتوحة فيسيل منها عصير لزج يلطخ الجدران بدم ذهبي اللون، بقيق حلو إلى حد يبعث على الغثيان، أحال المسكن إلى حيوان متحجر ينتمي حجمه إلى ما قبل التاريخ، إلى حيوان ضخم أخذ في التعفن، يعذبه الكد اللانهائي ليرقات وبعوض التحلل.

والحقيقة أن موت الصبي، والدور الذي لعبه رياض حلبي خلال تلك الأيام، والترحيب الذي لقيه في أجوا سانتا، حددت مسار حياته. ونسى أصله المرحل وبقي في القرية. وهناك فتح محلاً تجارياً، لأولوة

الشرق. وتزوج، وترمل، وتزوج مرة أخرى، وواصل تجارته، فيما كانت سمعته كرجل مستقيم تذيع بثبات. وبدورها، علمت إينيس عدة أجيال من الأطفال بالعاطفة الصلبة التي كانت ستهبها لابنها، إلى أن وهنت طاقتها، وعندئذ تنحّت جانبا لتفسح الطريق أمام معلمين جاعوا من المدينة بكتب دراسية أساسية جديدة، وتقاعدت. وبعد أن غادرت حجرة الدراسة، أحسّت وكأنها تقدمت في العمر فجأة، وكأن الزمن أخذ يتسارع؛ ومرت الأيام سريعة إلى حد أنه لم يعد بوسعها أن تتذكر إلى أين ذهبت الساعات.

"إننى أدور دائخة، أيها التركى. إنى أموت ولا أعرف حتى أنى أموت"، قالت.

"إنت بصحة جيدة كما كنت دائما يا إينيس"، أجاب رياض حلبى. "المشكلة أنك ضجرة. يجب ألا تكونى كسولة". واقترح أن تضيف غرفا قليلة إلى بيتها وأن تستقبل نزلاء. "ليس لدينا فندق فى هذه البلدة".

"ليس لدينا سيّاح أيضا"، أضافت.

"الفراش النظيف والإفطار الدافئ نعمة فى نظر المسافرين". وهكذا كانا، خاصة لسائقى عربات النقل لدى شركة ناشونال پترولسيوم، الذين كانوا يبيتون الليل فى بنسيونها عندما يملأ تعب الطريق وملله رؤوسهم بالهلاوس.

وكانت المعلمة إينيس أكثر امرأة مسنة هيبية واحتراما فى أجواسانتا. فقد علمت أطفال البلدة عدة عقود من الزمان، الأمر

الذى منحها سلطة التدخل فى كل شئون حياتهم والإمساك بهم من أذانهم عندما ترى فى ذلك ضرورة. وكانت البنات يجئن إليها بأصدقائهن لأخذ موافقتها، وكان الأزواج والزوجات يأتون إليها بخلافاتهم الزوجية، فكانت مستشارة، وحكّما، وقاضية فى كافة مشكلات البلدة. والواقع أن سلطتها كانت أقوى من سلطة القسيس، أو الطبيب، أو الشرطة. ولم يوقفها أحد عن ممارسة السلطة. وفى إحدى المناسبات سارت متشامخة إلى داخل السجن، ومرت باللائم الأول دون كلام، وانتزعت المفاتيح من مسمار على الحائط، وأخرجت من الزنزانة أحد طلبتها وكان محبوسا بعد إسراف فى الشراب. وحاول الضابط أن يقف فى طريقها، غير أنها دفعته جانبا وسارت بالصبي إلى الخارج ممسكة به من ظهر ياقته. وحالما صارا فى الشارع صفعته مرتين بقوة وأكدت له أنه فى المرة التالية إذا حدث هذا ستسلح بنطلونه وتضربه على مؤخرته ضربة لن ينساها أبدا. وفى اليوم الذى جاءت إينيس لتخبر رياض حلبى بأنها قتلت أحد زبائنها فإنه لم يشك للحظة واحدة فى أنها جادة، لأنه عرفها جيد جدا. تناول ذراعها وقطع معها مسافة مجموعتى البيوت والمتاجر التى كانت تفصل بين لؤلؤة الشرق وبيتها. وكان هذا واحدا من أفخم المباني فى البلدة، من الطوب اللبن والخشب، بقراندة واسعة تتدلى فيها أرجوحات النوم أثناء القيلولات الأشدّ حرا، ومراوح الأسقف فى كل غرفة. وفى تلك الساعة بدا البيت خاليا، نزيل واحد فقط جلس يشرب البيرة فى حجرة الاستقبال، مسحورا بالتليفزيون.

"أين هو؟" همس التاجر العربى.

"فى إحدى الغرف الخلفية"، أجابت إينيس، حتى دون أن تخفض صوتها.

وقادته إلى صف الغرف التى كانت تؤجرها - يضمها جميعا ممر بالبواكى تتسلق فيه نباتات نجمة الصباح الأرجوانية على الأعمدة وتتدلى فيه قصارى نبات الخنشار من العوارض - وكانت تصطف حول فناء مزروع بأشجار الزعرور والموز. فتحت إينيس الباب الأخير ودخل رياض حلبى غرفة غارقة فى عتمة كثيفة. وكان مصراعا النافذة مغلقين، ومضت لحظة قبل أن يرى على الفراش جثة رجل مسنّ ذى مظهر مسالم، وكان غريبا عاجزا يسبح فى بركة موته، بنظونه ملطخ بالغائط، ورأسه معلق بشريحة من اللحم الشاحب، ويعلوه تعبير مفزع من الألم، وكأنه يعتذر عن كل الاضطراب والدم، وعن الإزعاج غير العادى الذى تسبب فيه بالسماح بقتله. وجلس رياض حلبى على الكرسي الوحيد بالغرفة، عيناه على الأرض، يحاول أن يسيطر على اضطراب معدته. وظلت إينيس واقفة، متشابكة الذراعين فوق صدرها. تتروى فى حساب أن إزالة البقع ستستغرق منها يومين بالإضافة إلى يومين آخرين على الأقل لتخليص الغرفة من رائحة البراز والخوف.

"كيف فعلت هذا؟" سأل رياض حلبى أخيرا، وهو يمسح العرق من جبهته.

"بمنجل حصد جوز الهند. جئت من خلفه وقطعت رأسه بضربة

واحدة. ولم يعرف مطلقا ما الذى ضربه، يا له من رجل بأئس".
"لماذا؟"

كان على أن أفعل هذا. إنه القدر. هذا الرجل الهرم كان حظه سيئا للغاية. لم يقصد مطلقا أن يتوقف فى أجوا سانتا، كان يسوق عربته عبر البلدة فحطمت صخرة الواجهة الزجاجية للعربة. وجاء يقضى ساعات قليلة هنا إلى أن يجد الإيطالى الذى هناك فى الجراج واجهة زجاجية غيرها. لقد تغير كثيرا - فقد كبرنا جميعا، فيما أظن - لكننى تعرفت عليه فى الحال. لقد ظلت أنتظره طوال هذه السنين، وكنت أعرف أنه سيأتى عاجلا أم آجلا. إنه الرجل صاحب المانجو".

"حمانا الله من كل شر"، غمغم رياض حلبى.
هل تعتقد أننا ينبغي أن نستدعى الملائم الأول؟
"ليس أثناء حياتك، لماذا تقولين هذا؟"
"أنا صاحبة حق. لقد قتل ولدى".
"الملائم الأول لن يفهم هذا يا إينيس".
"العين بالعين والسن بالسن، أيها التركى. أليس هذا من تعاليم دينكم؟"

"ولكن القانون لا يعمل بهذه الطريقة، يا إينيس".
"طيب، إذن يمكننا أن نصلح من شأنه قليلا وأن نقول إنه انتحر".
"لا تلمسيه. كم عدد النزلاء عندك بالمنزل؟"
"فقط سائق عربة النقل هذا. سيكون فى طريقه حالما يعتدل الجو،

عليه أن يسوق إلى العاصمة".
"عظيم. لا تقبلى أى نزلاء جدد. وأغلقى باب هذه الغرفة
وانتظرينى. سأعود الليلة".
"ماذا ستفعل؟"
"سأعتنى بهذا بطريقتى".

كان رياض حلبى فى الخامسة والستين من عمره، غير أنه احتفظ
بطاقة شبابه وبنفس الروح التى وضعته على رأس الحشد فى اليوم
الذى وصل فيه إلى أجوا سانتا. غادر بيت المعلمة وسار بسرعة إلى
أولى الزيارات العديدة التى كان عليه أن يقوم بها فى ذلك الأصل.
بعد ذلك مباشرة، بدأت تنتشر فى كل أنحاء البلدة هممة ملحة. لقد
استيقظ سكان أجوا سانتا من سبات السنين، بعد أن استفزتهم
الأنباء التى لا تصدق التى أخذت تتردد من بيت لبيت، هممة لا
سبيل إلى كتمانها، معلومات توترت ليجرى التعبير عنها بالصرخات،
إشاعات أضفت عليها الحاجة الماسة ذاتها إلى الاحتفاظ بها كدممة
مكتومة مكانة خاصة. وقبل الغروب كان بوسعك أن تحس فى الجو
بابتهاج لا يهدأ صار على مدى سنين عديدة سمة مميزة للبلدة،
ابتهاج لا يسبر غوره الغرباء الذين يمرون بالبلدة، والذين لن يجدوا
شيئا غير عادى فى هذه البلدة التى كان لها مظهر منطقة نائية
منعزلة عديمة الأهمية كال كثير جدا من البلديات الأخرى التى تقع على
حافة الأدغال. وفى أول المساء، بدأ الرجال يصلون إلى المنزل،
وحملت النساء كراسى مطبخهن إلى الطوار وجلسن يستمتعن

بالجو الرطب المعتدل، وتجمع الشباب عن بكرة أبيهم فى الساحة العامة، وكأن اليوم يوم أحد. وبالمصادفة قام الملازم الأول ورجاله بجولاتهم ثم قبلوا دعوة البنات اللائى يعملن فى الماخور واللائى كن يحتفلن بعيد ميلاد، حسبما قلن. ومع هبوط الليل كان فى الشارع أناس أكثر ممن يكونون فيه فى عيد جميع القديسين، وكانوا جميعا مستغرقين بجدّ فى نشاطاتهم إلى حد أنه بدا وكأنهم يقومون بأدوار فى فيلم سينمائى: كان بعضهم يلعبون الدومينو، وآخرون يشربون الروم ويدخنون على نواصى الشوارع، وكان بعض الأزواج والزوجات قد خرجوا للتنزه، متشابكى الأيدي، وكانت الأمهات يجرين وراء أطفالهن، والجدّات يحذقن بفضول من الأبواب المفتوحة. وأضاء القسيس مصابيح كنيسة الأبرشية ودق الأجراس معلنا بدء تاسوعية للقديس الشهيد إيسيدورو، غير أنه لا أحد كان فى المزاج الملائم لذلك النوع من العبادة.

وفى التاسعة والنصف تم عقد اجتماع فى بيت المعلمة إينيس: التركى، وطبيب البلدة، وأربعة شبان كانت قد علمتهم من أول صف مدرسى وكانوا الآن محاربين محنكين أقوياء عائدین من الخدمة العسكرية. وقادهم رياض حلبى إلى الغرفة الخلفية، حيث وجدوا الجثة مغطاة بالحشرات: كانت النافذة متروكة مفتوحة وكانت الساعة ساعة الناموس. قاموا بحشو الضحية فى جوال من قماش القنب، وجرجروه إلى الشارع، وقذفوا به بفضاظة إلى مؤخرة عربة النقل التى يملكها رياض حلبى. وقادوا العربة عبر البلدة، فى الشارع

الرئيسى مباشرة، وأخذوا يلوّحون كالعادة لأىّ شخص تصادف أن رأوه. وردّ بعض الجيران تحيتهم بأكثر من الحماس المعتاد، فيما تظاهر آخرون بأنهم لم يلاحظوهم، وهم يقهقهون بمكر، مثل أطفال فاجأهم خدعة. وتحت ضوء القمر الساطع قاد الرجال العربية إلى الموضع الذى تكوّم فيه لآخر مرة ابن المعلمة إينيس منذ سنين عديدة لالتقاط ثمرة مانجو، واستلقت الأرض وسط أعشاب الإهمال الضارة التى كستها، خربة بفعل الزمن والذكريات السيئة، أكمة متشابكة صارت فيها أشجار المانجو متوحشة، وسقطت فيها الفاكهة من الأشجار ومدّت جذورا فى الأرض، فادت إلى ظهور أجسام جديدة أنبتت بدورها غيرها، إلى أن صنعت دغلا كثيفا لا يُخترق كان قد ابتلع الأسيجة، والممر، وحتى خرائب المنزل، الذى لم يبق منه سوى أثر متخلف من رائحة الفاكهة المهروسة. وأشعل الرجال فوانيس الكيروسين التى يحملونها واندفعوا بسرعة إلى داخل الدغل الكثيف، فاتحين طريقا بالضربات المتوالية من مناجل حصد جوز الهند التى كانت معهم. وعندما أحسوا بأنهم توغلوا فى الدغل مسافة كافية، أشار أحدهم إلى موضع وهناك، أسفل شجرة عملاقة مثقلة بالفاكهة، حفروا حفرة عميقة أودعوها الجوال المصنوع من قماش القنب. وقبل إهالة التراب على الحفرة، قام رياض حلبى بتلاوة صلاة إسلامية قصيرة، لأنه لم يعرف غيرها. وعندما عادوا إلى البلدة فى منتصف الليل، وجدوا أنه لا أحد ذهب إلى فراشه، وكانت الأضواء تتوهج فى كل نافذة، وكان الناس يطوفون فى الشوارع.

وفى غضون ذلك، نظفت المعلمة إينيس الجدران والأثاث فى الغرفة الخلفية بالماء والصابون، وأحرقت أغطية السرير، وقامت بتهوية البيت، وكانت تنتظر أصدقاءها بعشاء ممتاز وإبريق من الروم وعصير الأناناس، وتم تناول الوجبة بمصاحبة الثثرة المرحة عن آخر مصارعات الديكة - وهذه رياضة بربرية فى رأى المعلمة، لكنها أقل بربرية فيما ادّعى الرجال من مصارعات الثيران التى كان قد فقد فيها مصارع ثيران كولومبى كبده منذ فترة قصيرة. وكان رياض حلبى آخر من انصرف، وتناولت المعلمة إينيس يديه واستبقتهما للحظة فى يديها.

"أشكرك، أيها التركى"، قالت.

"لماذا جئتِ لرؤيتى يا إينيس؟"

"لأنك الشخص الذى أحبه أكثر من أى شخص فى هذا العالم، ولأنك كان ينبغى أن تكون والد ابنى".

فى اليوم التالى عاد سكان أجوا سانتا إلى كدهم اليومى المعتاد منتشين بتواطؤ رائع، بسرّ كتمه الجيران الطيبون، سرّ ظلوا يصونونه بحماس مطلق ويتناقلونه على مدى سنين عديدة كأسطورة للعدالة، إلى أن حررنا موت المعلمة إينيس، فصار يمكننى الآن أن أروى القصة.

جرأة

لويس فيليلا (البرازيل)

وضع الرجل المجلة على المنضدة دون أن يحدث صوتاً، ثم أعاد توجيه ضوء الللمبة نحو الأرضية، تاركاً الفراش فى الظل، الوسادة التى تركها كما هى، ظلت مسنودة إلى رأس السرير؛ وبقي هو، أيضاً، فى نفس الوضع الذى كان فيه من قبل، ناظراً عندئذ إلى ما كان أمامه مباشرة، فى خط رؤيته: فقط الوضع النأتى لقدميه تحت الملاءات. استدار قليلاً لينظر إلى المرأة؛ كان وجهها نحو الاتجاه الآخر، وكانت الملاءة تصل إلى ذقنها، وبدت نائمة بالفعل.

"زازا"، قال برقة، بطريقة تجعلها تردّ إذا كانت لا تزال مستيقظة، لكن بطريقة لا تجعلها تستيقظ إذا كانت نائمة بالفعل.

"آه ... تأوهت المرأة، دون أن تتحرك.

"هل أنت نائمة بالفعل؟" سأل الرجل بنفس النغمة.

"لا"، ردت المرأة، بنفس النغمة أيضا. ليس بعد، لكن بدا من صوتها، وكأنها نائمة تقريبا. ظلت بلا حراك، ولاحظ الرجل من خلال الملاءة التنفس الهادئ المنتظم لشخص على وشك أن يسقط نائما.

شبك يديه وراء رأسه، بين رأسه والوسادة .

"زازا"، كنت أفكر ..."

"ماذا؟" غمغمت المرأة.

استدار وانحنى نحوها، ووضعا يده على خاصرتها أخذ يربت عليها برقة من فوق الملاءة.

"هل أنت نائمة بالفعل، يا عزيزتى؟"

فتحت المرأة عينيها دون أن تحرك رأسها.

"لست نائمة ... فقط أغمضت عيني ..."

"لا تنامى، ليس بعد"، قال، وربّت على ردفها ربتة خفيفة.

حركت المرأة رأسها على الوسادة موافقة وأغمضت عينيها مرة أخرى. وعاد فأسند رأسه مرة أخرى على الوسادة وشبك يديه وراء رأسه، بعد أن تركهما مهجورتين لحظة على جسمه.

"كما تعلمين، كنت اليوم أفكر - هل تصغين، يا زازا؟"

"نعم"، غمغمت المرأة.

"كنت أفكر فى مجموعة هائلة من الأمور".

كان الرجل يتكلم فيما كان ينظر ناحية قدميه من فوق الملاءات؛ ومن وقت لآخر، وكأنما بمصاحبة حركة أفكاره، كان يلويهما لكن دون أن ينتبه إلى ذلك. "علينا أن نحرك حياتنا أكثر، يا زازا، علينا

أن نفعل أشياء جديدة، مختلفة ... علينا أن نخرج من هذا الروتين
الروتين هو الذى يسمم حياة المرء. الروتين أحد أكبر الشرور فى
الحياة. إنه هو الذى يقتلنا، الذى يجعلنا نشيخ قبل الأوان. دعينا
نتركه للوقت الذى نشيخ فيه؛ نحن لم نشخ بعد، لا يزال أمامنا
العديد من السنوات. تذكرى: الحياة تبدأ فى الأربعين. عمرنا سبع
سنوات فقط. نحن ما نزال فى طفولتنا". ونظر إلى المرأة من الجانب:
"زازا، هل تصغين إلى أم أنك نائمة بالفعل؟".

تأوهت المرأة لتقول إنها تصغى.

"علينا أن ندخل فى حياتنا بعض الحركة. علينا أن نبتهر، أن
نخلق أشياء جديدة. أن نستخدم ما لا يزال من الشباب بداخلنا:
الجوع إلى الجديد، إلى التنوع، إلى الأشياء الطريفة. توقف للحظة؛
بدا أنه يختار من بين مجموعة متنوعة من الأشياء ما سيقوله بعد
ذلك. مرة أخرى نظر إلى المرأة، لكنه لم يقل لها شيئاً هذه المرة.
"هذا، حتى فى أصغر الأشياء، أو حتى فى معظم ..."، تردد لأنه
لم يستطع أن يعثر على الكلمات، أو لأنه اعتقد أن من الأفضل ألا
يقولها؛ وبدأ جملة جديدة: "هذا ما يجعل الإنسان يعيش ويظل شاباً
دائماً. على المرء أن يملك الشجاعة ... على المرء أن يملك الجرأة ..."
مرة أخرى بدا أنه لا يعرف ما أراد أن يقول أو أنه يخشى أن يقوله.
نظر إلى المرأة وظل يراقبها بعض الوقت، متفحصاً بعناية
جسدها، الذى كانت معاملة مرسومة بالملاءة البيضاء الرقيقة، ثم
سحب نفسه إلى أعلى ليقوم ببادرة ما، غير أن تنفساً أعمق من

المرأة أوقفه فى منتصف الطريق، تاركا إياه بيده معلقة فوق خصرتها: غير أنها كانت مجرد تنهيدة، فلم تتحرك. ومع ذلك، عاد إلى وضعه السابق. وعندئذ حركت ساقها قليلا، لكنها لم تستدر كما اعتقد وخشى أن تفعل؛ وارتخى وجهه وكأني نجا للتو من خطر. كان الآن ينظر بالفعل إلى قدميه، ويحركهما، بالعصبية الهائلة المكبوتة لقط يهز ذيله.

"زازا، هل تتذكرين مانويلينو؟" سأل.

لم ترد المرأة. وأدار هو رأسه قليلاً على الوسادة وكرر بصوت موجه مباشرة إلى المرأة. "زازا".
"ماذا؟"

"هل تتذكرين مانويلينو؟"

"مانويلينو؟" تريثت لحظة، ثم قالت: "أتذكر"، وأكدت ذلك، من أجله أكثر مما لنفسها، لتعفيه من أن يسأل مرة أخرى عما إذا كانت نائمة، "صديقك ذاك" وأضافت سعيدة بأنها تذكرت: "ذلك الذى فى البنك"

"فى البنك؟ لا، يا زازا، كان ذلك ماركولينو. أنا أتحدث عن مانويلينو، الشخص الذى أتى إلى هنا فى تلك المرة، الشخص الذى يلبس القبعة؛ لقد أضحكك ذلك أيضا"

لم تقل المرأة شيئا.

"ألا تتذكرين؟ الشخص الذى يلبس قبعة، يا زازا".

"أتذكر .. نعم، أتذكر؛ الشخص الذى يلبس القبعة".

"حسنا، إذن. جرت بيننا من قبل مناقشة حول هذا، بالضبط حول ما أتحدث عنه الآن. شخص ممتاز مانويلينو ذاك". وابتسم الرجل. "صديق حقيقي. كنا نتحدث عن كل هذا، عن هذه الأشياء، ثم بدأت أفكر، أنت تعلمين يا زازا، هناك مجموعة هائلة من الأشياء التي لا نفعلها - أعني بضمير "نحن" الذي أتحدث عنه هنا أنت وأنا - أشياء لم يفعلها المرء بعد في هذه الحياة ويمكن للمرء أن يفعلها. نعم، يمكن للمرء أن يفعلها - هذه هي المسألة! لماذا توجد أشياء لا يمكن للمرء أن يفعلها، حتى إذا رغب في هذا. مثلا، فيم يفيدني أن أرغب في الذهاب إلى اليابان إن لم يكن عندي المال اللازم لهذا؟"

"اليابان؟"، غمغمت المرأة.

"أنا أقول فقط: فيم يفيدني أن أرغب في الذهاب إلى اليابان إن لم يكن عندي المال اللازم لهذا؟" أو، من جهة أخرى، أن أرغب في أن يكون عندي ظبي إفريقي. فيم يفيدني ذلك؟ أو أن أرغب .. لم يستطع أن يتذكر فيم رغب أيضا. "وهكذا - أن يرغب المرء في أشياء مستحيلة. هذا تخريف. كلام فارغ. صبيانية. أما ما هو ممكن، فإنني أستطيع أن أرغب فيه. الكلمة ذاتها تقول هذا: ممكن، بمعنى ما يمكن للمرء أن يملكه. مثل هذه الأشياء، يمكنني أن أرغب فيها، ليس فقط يمكنني، إنني مُجبر على أن أرغب فيها! هناك أشياء كثيرة جدا يمكن للمرء أن يفعلها - أشياء جيدة، هذا ما أقوله، هذا بديهي؛ أشياء كثيرة جدا لا يفعلها المرء. ولماذا؟ لماذا لا يفعلها؟ بسبب الخوف، الإهمال، العرف، الآراء المسبقة. تحدثنا كثيرا عن ذلك، أنا

ومانويلينو - مانويلينو وأنا" صحّ نفسه كرجل اعتاد مراعاة أدق قواعد آداب السلوك. "تحدثنا كثيرا عن ذلك - الآراء المسبقة، التحيزات. إنها هي التي تمنعنا من أن نفعل كثيرا من الأشياء. وهي أشبه بسلاسل تقيد حركتنا، كما يقول مانويلينو؛ أو بالأحرى، كما يقول أيضا، الآراء المسبقة تحكم حياتنا. هناك كل ضروب الآراء المسبقة: اجتماعية، سياسية، دينية، أخلاقية. عدد لا نهائي منها. هناك تحيزات من كل الأنواع، من أدناها إلى أسماها".

تحركت المرأة، وتوقف هو عن الكلام وأخذ يراقبها؛ لكنها، بدلا من أن تستدير كما اعتقد أنها ستفعل، لفتت نفسها بإحكام أكثر حتى من ذي قبل، ومع ذلك ظلت فى وضع وسط بين الرقاد بالوجه إلى أسفل والرقاد على جانبها؛ وبرزت خاصرتها حتى بوضوح أكثر من ذي قبل.

بدأ الرجل يتكلم من جديد، غير أنه هذه المرة ظل ينظر إلى المرأة، إلى خطوطها الخارجية، "هناك حتى آراء مسبقة جنسية، فى الحقيقة، هناك تحيزات جنسية كثيرة" وبدأ أنه عاد إلى العصبية كما كان حاله من قبل، وكأن شيئا ما أصابه، أخذ يمرر يده بصورة متكررة فوق رأسه، مسوياً شعره، الذى كان ناعما تماما والذى كان قد بدأ يخف.

"أحيانا توجد هذه الآراء المسبقة حتى عند "الأزواج والزوجات - أى حتى بين الأشخاص الذين لا ينبغى أن توجد بينهم أية آراء مسبقة، الذين ينبغى أن تكون الألفة مطلقة بينهم، الذين ينبغى أن

تتوفر لديهم حرية كاملة ليفعلوا ما يريدون، ليفعلوا كل ما يطلبه الجسد".

مرة أخرى انحنى الرجل نحو المرأة، وبإصرار أكثر الآن أخذ يربت على فخذيها.

"أنا متعبة جدا اليوم يا حبيبي"، غمغمت المرأة دون أن تفتح عينيها.

ظل يربت عليها برقة. "ليس الأمر كذلك، إنه شيء آخر"، غمغم الرجل، وهو يمدد جسمه خلفها على طول جسمها، وعند هذه النقطة استدارت على ظهرها. "ما الأمر؟"، قالت، وهى تبذل جهدا حقيقيا لتستيقظ.

ظل فى الوضع الذى كان فيه، ناظرا إليها، ثم استدار بجفاء ليرقد على ظهره.

"ما الأمر؟"، سألت مرة أخرى.

"أنت لا تعيريننى اهتماما"، قال بضيق أكثر مما بررته الكلمات، غير أن المرأة كانت أكثر نعاسا من أن تلاحظ. "ظللتُ أتكلم معك طوال أكثر من نصف ساعة وأنت لا تصفين إليّ، أنت لا تعيرين اهتماما".

"أنا لم أكن أعير اهتماما؟ لا، بل كنتُ، يا حبيبي. ألم أردَ على كل شيء قلته؟ فقط ظلت عيناى مغمضتين؛ لم أكن نائمة"، قالت المرأة، ناهضة فى الفراش ومتكئة على مرفقيها. "هل تريد منى أن أكرر كل شيء قلته، من البداية؟ أستطيع أن أقول كل شيء، من

البداية، هل تريد منى أن أفعل؟"

"حسنا، يالها من فكرة"، قال متهكما.

"عملتُ اليوم عملا شاقا، يا حبيبي، إني متعبة، عيناى تؤلمان من كثرة الخياطة. كنتُ أغمضهما فقط، لم أكن نائمة؛ كنتُ أصغى إلى كل ما كنتُ تقوله".

"حسنا"، قال، ليضع حدا للأمر. "حسنا، دعينا ننام الآن".

مدَّ يده وأطفأ النور. ثم أعاد ترتيب الوسادة، ورقد على جنبه، وظهره إلى المرأة، التى كانت قد رقدت أيضا عندئذ من جديد. لم يغمض عينيه بعض الوقت. وفى الظلام ظل يحملق فى المجلة التى كانت على المنضدة، متذكرا صورة فوتوغرافية - شقراء تلبس مايوه بيكىنى، منحنية على نصف جنبها ونصف ظهرها، على أريكة قرمزية.

الله وحده يعلم ماذا يفعل

لويس فيليلا (البرازيل)

الله وحده يعلم ماذا يفعل وهذا هو السرّ في أن الطفل وُلد أعمى،
لكن الله وحده يعلم ماذا يفعل فقد نشأ قويا ومتين الصحة، فلم
يُصب بالسعال الديكى أو بنزلة شعبية كالطفليّن الآخرين - الابن
البكر، فى أوائل عشريناته، كان يسرف فى الشراب آنذاك، وارتكب
جريمة، ودخل السجن؛ وكبرتُ البنت الصغيرة، وصارت امرأة شابة،
متزوجة، خدعت زوجها، وانفصلا، وصارتُ بغياً؛ وكان للصبي
الأعمى أذن حساسة وتعلم العزف على الجيتار وفى الخامسة عشرة
عزف بالفعل كما لم يعزف شخص آخر، وصار فنانا حقيقيا، ولأن
الله وحده يعلم ماذا يفعل فلكل شىء فى هذا العالم تعويض ما،
وهكذا ففيما كان أخوه فى السجن وأخته فى بيت دعارة، كان
الأعمى يحقق الشهرة والثروة بجيتاره وأذنه التى كانت أفضل من

أذن أى شخص عادى، أما والداه، اللذان كانا من قبل فقيرين ولا يملكان فى بعض الأحيان حتى أى شىء ياكلانه، فكانا يملكان فى ذلك الحين نقودا تكفى لمنحهما ترف شراء راديو كان بوسعهما أن يسمعا فيه، مبثوثا من المدينة المجاورة، برنامج مونتسارت الجيتار، كما عمده قائد الفرقة الموسيقية المحلية الذى، بمجرد أن بدأ يعرف الصبى، صار متعهد حفلاته، تاركا فرقته الموسيقية لى يقدم لأربعة أركان الأرض أعظم عازف جيتار فى كل العصور، إلى أن اختفى ذات يوم عن أربعة أركان الأرض بكل إيرادات تلك الجولة الفنية، لكن الله وحده يعلم ماذا يفعل فرغم أن متعهد الحفلات هرب وقعت فتاة جميلة فى حب الشاب ووجدت بأن تسعده بقية عمره، وهكذا، فيما كان الاثنان، المتزوجان والمقيمان فى بيت صغير متواضع، يعيشان سعيدين، كانت الأخت، التى ولدت سليمة وجميلة، تشيخ قبل الأوان فى ماخورها والأخ، الذى ولد سليما ووسيميا، خرج من السجن ولم يجد عملا وكان يعيش يوما بيوم، إلى أن التقى بزوجة الأعمى ووقع فى حبها بجنون: عزف الأعمى بأعلى صوت ممكن حتى لا يسمع قبيلات الاثنى فى حجرة الجلوس - إلى أن تمزقت الأوتار إربا إربا، إلى أن فجر أذنه المذهلة إلى شظايا بطلقة واحدة.

المؤلفون

جواكين ماريما ماشادو ده أسيس Joaquim Maria Machado de Assis

(1839-1908) البرازيل

* روائي وقاص ولد وعاش في ريو دي جانيرو. وهو الأب الحقيقي للأدب البرازيلي الحديث، ومؤسس الأكاديمية البرازيلية للآداب ورئيسها حتى وفاته. * تربو مجلدات أعماله الكاملة على واحد وثلاثين مجلدا، غير أن شهرته العالمية تقوم على إنتاجه الروائي والقصصى والشعرى منذ 1880 وحتى وفاته، وتقوم بوجه خاص على رواياته الثلاث:

- مذكرات براس كوبياس يكتبها بعد وفاته (1880).

- كينكاس بوربا - الفيلسوف أم الكلب؟ (1891).

- دون كازمورو (1900).

والروايتان الأخيرتان مترجمتان إلى العربية.

جابريللا ميسترال Gabriela Mistral 1889-1957 تشيلي

* شاعرة شهيرة حصلت على جائزة نوبل للآداب فى 1945، فكانت أول كاتب

أمريكي لاتيني يحصل على هذه الجائزة، واسمها الحقيقى لوثيلا جودوى دى

ألكاياجا Lucila Godoy de Alcayaga.

* صدر ديوانها "الأسى" فى 1922 ويعتقد الكثيرون أنه يشتمل على أجمل

أشعارها.

خورخه لويس بورخيس Jorge Luis Borges 1899 - 1984 الأرجنتين

* ولد القاص والشاعر والناقد الأدبى والمفكر العظيم فى بوينوس آيرس.

* أشهر مجموعات قصصه القصيرة "قصص"، 1946 و "الألف"، 1949، وله

أيضاً مجموعات "التاريخ العام للعار"، 1935، و "تقرير برودى"، 1970، و "كتاب الرمل"، 1975 .

* أول ديوان شعر له "هيج بوينوس آيرس"، 1923، وديوانه الثاني "القمر المقابل"، ١٩٢٥، وديوانه الثالث "كراس سان مارتين"، 1929، وديوانه "أعمال شعرية 1923-1964"، 1964، ومن مجموعاته التي تضم أشعاراً وقطعا نثرية قصيرة جدا "الصانع"، 1960، و "مديح للظلام"، 1969، "ذهب النمر"، 1972 .

* أهم مجموعات مقالاته فى النقد الأدبى والفلسفة "استقصاءات أخرى"، 1952، وله "مناقشة"، 1925، و"استقصاءات"، 1932 .

* فى 1974، نشر الأعمال الكاملة التى تقع فى 1161 صفحة، وتشمل ثمانية مجلدات من الشعر (تضم أربعة منها قطعاً نثرية قصيرة)، وخمس مجموعات من المقالات، وثلاثة مجلدات من القصص القصيرة.

جوان جيمارانس روزا (1908-1967) Joao Guimarmes Rosa البرازيل

* ولد - بصورة موحية - فى نفس سنة موت ماشادو ده أسيس. وقد وصفه كاتب القصة المكسيكى خوان رولفو بأنه "أعظم كاتب ظهر فى الأمريكتين فى هذا القرن".

* أتقن الفرنسية واللاتينية واليونانية والروسية والألمانية والإنجليزية واليابانية وعمل مع مترجميه فى ترجمات أعماله إلى الإيطالية والفرنسية والإنجليزية والألمانية. ومثل جويس فى الإنجليزية، قام بابتكار لغته البرتغالية البرازيلية الخاصة.

* درس الطب وتنقل فى داخل البلاد كطبيب ريفى، كما درس الفلسفة والدين والعلوم الطبيعية (وخاصة علم النبات وعلم الحياة وعلم الحيوان) وهى عناصر مكونة للأبعاد الكونية لمرتكزاته الأدبية.

* كتب الرواية، والرواية القصيرة، والقصة القصيرة، والشعر، وتنطلق رائعته الروائية: "السرثون الكبير - دروب" من الأسطورة الفاونستية عن عقد اتفاق مع الشيطان، وتتخذ شكل مونولوج طويل يسرده ريبالدو تاتارانا الصوفى بغربة، الذى يجد نفسه معلقاً بين الرب والشيطان فيما كان يصارع التناقض بين ميل مذكر وميل مؤنث فى أعماق روحه.

* منذ وفاته، لم تعوض القصة البرازيلية بعد خسارتها لكتبتها الميتافيزيقي الأول والأعظم. وببطء ولكن بصورة لا يمكن تفاديها يجد جوان جيمارانس روزا مكانه الصحيح في الأدب العالمى.

ديناي سيلفيرا ده كيروس 1911 (Dinah Silveira de Queiroz) البرازيل
* كانت أول امرأة تفوز بجائزة ماشادو ده أسيس التى تمنحها الأكاديمية البرازيلية للأدب.

* عاشت فى الخارج وسافرت كثيرا جدا مع زوجها الدبلوماسى، قبل أن يستقرا فى مدينة برازيليا.

* كتبت روايات ومسرحيات وقصصا قصيرة كما كتبت للأطفال.

خوليو كورتازر (1918-1984) Julio Cortazar الأرجنتين

* وُلد فى بروكسيل ونشأ وتعلم فى بوينوس أيرس.

* من مجموعاته القصصية "نهاية اللعبة"، 1956، و "الأسلحة السرية"، 1959، و "كل النيران النار وقصص أخرى"، 1966، و "انفجار وقصص أخرى"، 1968.

* أشهر رواياته "الحجلة" ١٩٦٣، وله أيضا رواية "المنتصرون" 1962، ورواية "كتاب مانويل"، 1973 .

ويعلق الناقد الأرجنتيى ألبرتو مانجيل على قصة "كوابيس" لخوليو كورتازر (والتي يقول إنه لعلها آخر قصة كتبها قبل وفاته) بهذه الكلمات:

"هى من نواح عديدة صنو لقصته المبكرة "الاستيلاء على البيت"، وكل ما هنالك أن الوجود الغازى إنما يجرى هنا داخل عقل امرأة فى حالة غيبوبة بينما لا يمكن لغيرها - أسرتها - أن يشهدوا الغزو إلا من الأجنحة. وتتداخل لحظة الفهم مع لحظة الدمار الأخير، عندما تتوافق رؤيا المرأة الغائبة عن الوعى مع هجوم من العالم الواقعى. والحقيقة أن كل من اطلع على التقرير الذى يتناول من يسمون بـ "المختفين" فى الأرجنتين (والمنشور بعنوان "آخر مرة") سيفهم تماما تداخل كلتا هاتين النهايتين الشريرتين".

موريلو روبياون 1916 Murilo Rubiao البرازيل

* مثل جيمارانس روزا، ولد موريلو روبياون فى ميناس چيرائس، وكان، مثل سكان ولايته المعروفين بشدة التحفظ، من أشد الكتاب عزوفا عن النشر.

* فى السابعة ترك روبياون بيئة المدينة البرازيلية الصغيرة التى تميز بها العديد

- من قصصه وانتقل إلى عاصمة الولاية، بيلو أوريزونته.
- * كانت طفولته محاطة بكتاب (منهم جده وأبوه وعمه وعدد من أبناء عمومته) كما تغذت على القراءة وإعادة القراءة بلا انقطاع لحكايات الجنيات، والكتاب المقدس، وألف ليلة وليلة، مثل أستاذه المعترف به ماشادو ده أسيس.
- * في 1938، قام مع مجموعة من زملائه الطلاب في جامعة ميناس جيرائيس بتأسيس أول مجلة من عدد من المجلات الأدبية التي ظل مرتبطا بها طوال حياته الأدبية.
- * وفي الوقت الذي نال فيه شهادته في القانون في 1942، بدأ روبياون في نشر "الطبقات" الأولى لفانتازياته الفريدة التي كان عليه أن يجمعها ويعيد جمعها طوال العقود الثلاثة التالية، بادئا في 1948، بمجموعة الساحر السابق وقصص أخرى.
- * وفي 1945، حضر المؤتمر الأول لكتاب البرازيل والذي دعا إلى الوقف الفوري للرقابة وكان حاسما في وضع حد لديكتاتورية فارجاس.
- * في الخمسينات عمل موظفا بالولاية، ثم من 1956 إلى 1960 عمل ملحقا بالسفارة البرازيلية في مدريد، ولم يكتب خلال هذه السنوات الأربع سوى قصة واحدة بعنوان "الأرنب".
- * عند عودته إلى البرازيل، وإلى ميناس، أسس الملحق الأدبي الواسع التأثير للجريدة اليومية "ميناس جيرائيس"، ونشر أكمل طبعة إلى اليوم من قصصه المبكرة.
- * في 1974، أعيد اكتشاف قصص روبياون، وصارت الأكثر مبيعا.
- * ضمنت له الحكايات القليلة "الكاملة الأوصاف" التي نشرها طوال حياته مكانة الأستاذ بلا منازع للفانتازيا في الأدب البرازيلي المعاصر.
- أرمونيا سومرز** Armonia Somers 1918 - أوروغواي
- * روائية وكاتبة قصة قصيرة.
- * ولدت في 1918 وظهرت روايتها الأولى في 1950 .
- * مشهورة جدا كمدرسة وكمؤلفة في حقل الپيداجوجيا (علم التدريس).
- إليسيو دييجو** Eliseo Diego 1920 - كوبا
- شاعر وكاتب قصة قصيرة كوبي، درّس بجامعة ها?انا. قام بأسفار عريضة إلى

أوروبا والولايات المتحدة وله معرفة واسعة بالأدب الإنجليزي. وإنتاج البسيط، ديجو ساخر، مُشرق، وهو يستخدم في كثير من الأحيان الخرافات والأساطير، كما في الحكاية المترجمة.

دالتون تريفيزان Dalton Trevisan 1925 البرازيل

* بعد حادث قاتل تقريباً في 1945، بدأ الكتابة، وفي 1946 أسس مجلة أدبية "جواكين".

* بعد سنوات من الكتابة ظهر عمله "روايات غير نموذجية مطلقاً" في 1959 وجلبت له الشهرة في الحال. والقصة المنشورة هنا مأخوذة من "ملك الأرض" (1972).

* ودالتون تريفيزان "كاتب قصة قصيرة يتسم بعنف الحذف والإيجاز، ويستكشف، (...) في إطار حضري معاصر، حياة الأشخاص العاديين - الذين يتضح في النهاية أنهم استثنائيون، بطرق مرعبة".

كلاريس ليسبيكتور Clarice Lispector (1925-1977) البرازيل

* ابنة أسرة من يهود أوكرانيا هاجرت إلى البرازيل وهي في الشهر الثاني من عمرها.

* في العقد التالي لموتها تم الاعتراف بها باعتبارها أعظم كتاب القصة القصيرة المحدثين في اللغة البرتغالية.

* عاشت أسرتها في فقر في شمال شرق البرازيل ثم انتقلت، في 1937، إلى ريو دي جانيرو، حيث قررت كلاريس، التي كانت في الثانية عشرة من عمرها، أن تصبح روائية.

* في الأربعينات التحقت بمدرسة القانون وعملت محررة في وكالة صحفية وفيما بعد مراسلة لصحيفة يومية في ريو.

* تزوجت في 1943 من طالب قانون زميل لها وبعد عام حصلت على شهادتها ونشرت أول رواية لها (1944).

* طوال الخمس عشرة سنة التالية، عاشت وكتبت في الخارج حيث عمل زوجها دبلوماسياً في إيطاليا وسويسرا وبريطانيا والولايات المتحدة. وعندما انتهى الزواج في 1959، عادت كلاريس بطفليها إلى ريو.

* في السنة التالية، نشرت مجموعة فريدة من القصص القصيرة بعنوان "روابط

أسرية" (1960).

* ظهرت روايتها "التفاح فى الظلام" فى 1961 وجلبت لها ما تستحقه من اعتراف باعتبارها "كاتبة ذات دقة أسلوبية استثنائية وأهمية فلسفية هائلة".
* لها أيضا مجموعة قصصية بعنوان "الفرقة الأجنبية" (1964) واثنان من أجمل رواياتها "عذابات ج. هـ." (1964) و"ساعة النجمة" (1977)، ولها عمل نشر بعد موتها: "تيار الحياة" (1978).

إيسابيل أئيندى (1942-) تشيلى

* روائية وكاتبة قصة تشيلية.

* نشرت عدة روايات: بيت الأشباح (1982)

عن الحب والظلال (1985)

إيفالونا (1987)

* لها مجموعة قصص قصيرة بعنوان: قصص إيفالونا (1991)

لويس فيليلا (1943 Luiz Vilela) البرازيل

* ولد فى ولاية ميناس جيرائس.

* درس الفلسفة فى "بيلو أوريزونته"، عاصمة الولاية، حيث عمل فى مجلة "إستوريا"، والجريدة الأدبية "تكستو" (النص).

* فاز كتابه الأول، وكان مجموعة قصص قصيرة بعنوان "الزلازل" (1967) بجائزة قومية فى القصة.

* وكان كتابه الثانى ("فى الحانة") أيضا مجموعة قصص قصيرة.

للمترجم

* تأليف

- النموذج الثوري في شعر عبد الوهاب البياتي، (بالاشتراك في عمل جماعي) بغداد، ١٩٧٢
- خطوات في النقد الأدبي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥ .
- معجم تصنيف الأفعال العربية، (بالاشتراك مع حسن بيومي وأحمد الشافعي) دار الياس المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٩ .

* أدب:

- ماشادو ده أسيس: السراية الخضراء (رواية قصيرة)، دار الياس المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩١ .
- ماشادو ده أسيس: دون كازمورو (رواية)، دار الياس المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩١ .
- خ. ل. بورخيس: مختارات الميتافيزيقا والفانتازيا (قصص، مقالات، أشعار، حكاية رمزية)، دار شرقيات، القاهرة، ٢٠٠٠ .
- مجموعة من الكتاب البرازيليين: قصص برازيلية (بالاشتراك مع سحر توفيق)، إبداعات عالمية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٠ .

* قصص الأطفال والناشئة:

- ريتا جولدن جيلمان : خرابيشو يخريش (قصة مصورة) ، دار الياس العصرية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٦ .

- آنى جروفي ، تيمور والتعبيرات ، (بالاشتراك مع هويدا نور الدين) ، دار الياس العصرية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٦ .

- برنار كلافيل : أساطير البحر ، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٧ .

* نقد أدبي:

- يورى كاريكين : دوستويفسكى - إعادة قراءة ، كومبيونشر للدراسات والإعلام والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩١ .

- پول ب . ديكسون : الأسطورة والحداثة : حول رواية دون كازمو ، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٨ .

- مجموعة من الكتاب : عوالم بورخيس الخيالية ، آفاق الترجمة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٩ .

- بياتريث سارلو : بورخيس : كاتب على الحافة ، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٤ .

* معاجم:

- الياس - هاراب القاموس التجارى إنجليزى-عربى ، دار الياس العصرية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٦ .

- جيرار سوسان و جورج لابيكا : معجم الماركسية النقدى (بالاشتراك فى ترجمة جماعية) ، دار محمد على للنشر ، صفاقس ، تونس ، و دار الفارابى ، بيروت (بالتعاون مع

منظمة اليونسكو) ، ٢٠٠٣ .

11	المرأة - ماشادو ده أسيس - البرازيل
29	أدم وحواء - ماشادو ده أسيس
41	لماذا البوص مجوف - جابرييلا ميسترال - تشيلي
	سيرة تاديو إيسودورو كروث
49	خ. ل. بورخيس - الأرجنتين
57	الانتظار - خ. ل. بورخيس
	الشاطئ الثالث للنهر
67	جوان جيمارانيس روزا - البرازيل
79	تارسيزو - ديناي سيلفيرا ده كيروس - البرازيل
101	كوابيس - خوليو كورتاثر - الأرجنتين
119	لا تلم أحدا - خوليو كورتاثر
	الساحر السابق من مطعم مينيوتا
129	موريلو روبياون - البرازيل
141	جنون - أرمونيا سومرز - أوروغواي

- 147 بخصوص السنيور ده لابينيا - إيسيو ديجو - كوبا
- 153 الفراشة البيضاء - دالتون تريفيزان - البرازيل
- أضال امرأة في العالم
- 159 كلاريس ليسپكتور - البرازيل
- 171 مس الجريف ليسپكتور
- 185 قروود الماموزيت - كلاريس ليسپكتور
- 191 ضيف المعلمة - إيسابيل أئيندى - تشيلي
- 205 جراءة - لويس فيليلا - البرازيل
- 215 الله وحده يعلم - لويس فيليلا

للنشر فى السلسلة :

- * يتقدم الكاتب بنسختين من الكتاب على أن يكون مكتوباً على الكمبيوتر أو الآلة الكاتبة أو بخط واضح مقروء . ويفضل أن يرفق معه أسطوانة (C.D) أو ديسك مسجلاً عليه العمل إن أمكن .
- * يقدم الكاتب أو المحقق أو المترجم سيرة ذاتية مختصرة تضم بياناته الشخصية وأعماله المطبوعة .
- * السلسلة غير ملزمة برد النسخ المقدمة إليها سواء طبع الكتاب أم لم يطبع .

**صدر مؤخراً فى سلسلة
آفاق عالمية**

59- النقد والمجتمع

ترجمة : فخرى صالح

60- ثلاث مسرحيات من سوفوكليس

ترجمة : طه حسين

تقديم : عبدالغنى داود

61- وفى جيبه المطر (وقصص أخرى)

ترجمة : د. : محمد أبو العطا

62- رحلة ابن فضلان إلى نهر الإتيلى

ترجمة : د. سامية توفيق

63- الحب تحت أشجار الصفصاف (أوبرا صينية)

ترجمة : كامل عيد رمضان

64- نون النسوة الألمانية

ترجمة : عبد الوهاب الشيخ

65- التراث المسروق

ترجمة : شوقى جلال

66- الأرض الطيبة

تأليف : بيرل بك - ترجمة : أكرم مؤمن

مراجعة : د. لىلى عبد الرازق

شركة الأمل للطباعة والنشر
(مورافيتلى سابقاً)

سلسلة آفاق عالمية

تضم هذه المجموعة مختارات من القصة القصيرة
فى عدد من دول أمريكا اللاتينية، أبدعها كتاب
يتصدرون المشهد الروائى والقصصى المعاصر،
مجموعة ينتظمها خط واحد هو الهم الإنسانى المشترك
العابر لحدود الزمان والمكان واللغة والعرق والمعتقد،
مجموعة تمتاز بحسن الاختيار الذى هو قطعة من
عقل المترجم ووجدانه، وجودة الترجمة الإبداعية
التي حافظت على النصوص فى أبهى صورها.

